الفصل السـادس: جهـود علمـاء المالكية في تقرير الصـفات الفعليـة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: جهودهم في تعريف الصفات الفعلية.

المبحث الثـاني: جهـودهم في إثبـات الصـفات الفعليـة، وفيه اثنتا عشـرة مسألة

- المسألة الأولى: صفة الاستواء.
- المسألة الثانية: صفة النزول.
- المسألة الثالثة: صفة المجيء.
- المسألة الرابعة: صفة الرضا.
- المسألة الخامسة: صفة الرحمة.
- المسألة السادسة: صفة الغضب.
- المسألة السابعة:صفة المحبة.
- المسألة الثامنة:صفة الكراهة.
- المسألة التاسعة: صفة الضحك.
- المسألة العاشرة: صفة العجب.
- المسألة الحادية عشرة: صفة الغيرة.
- المسألة الثانية عشرة: صفة الحياء._

المبحث الأول: جهودهم في تعريف الصفات الفعلية.

سبق في الفصل الخامس بيان ما كان عليه السلف الصالح فيما يتعلق بتقسيم صفات الله عز وجل وأنهم لم يكونوا يقسمون الصفات، وإنما يقررون صفات الله عز وجل الثابتة في الكتاب والسنة.

حتى ظهر أهل الكلام وابتدعوا تقسيم الصفات إلى خبرية ونفسية وثبوتية وسلبية؛ فاضطر المتأخرون من أهل السنة إلى الكلام في تقسيم الصفات من حيث تعلقها بالله عز وجل إلى قسمين:

1- ذاتية: وقد تقدم الكلام عليها في الفصل الخامس.
2- فعلية: وهي المتعلقة بمشيئة الله تعالى مثل الاستواء والنزول، والضحك والمجيء،

والعجب والفرح والرضا، والحب والكره، والسخط والمقت، وقد يكون بعض هذه الصفات ذاتية من جهة، وفعلية من جهة أخرى، فهي ذاتية من حيث اتصاف الله عز وجل بها، وفعلية من حيث آحادها.

ومن خلال البحث في أقوال أئمة المالكيةلم أجد عندهم تعريفًا لهذه الصفات إلا أنهم من خلال تقريرهم لصفات الله عز وجل قد يشيرون إلى أن هذه الصفة صفة فعل، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي حيث قال مبيناً أقسام الصفات عند المتكلمين: "ثم اعلموا أن المتكلمين الذي خاضوا في علم الكلام جاءوا بأدلة عقلية ركبوها في أقسية منطقية، قسموا صفات الله جل وعلا إلى ستة أقسام هي: صفة نفسية، صفة سلبية، صفة معنى، صفة فعلية، صفة معنوية، وصفة جامعة.

والصفات الإضافية تتداخل مع الصفات الفعلية لأن كل صفة فعلية من مادة متعدية إلى المفعول كالخلق، والإحياء، فهي صفة إضافية، وليس كل صفة إضافية فعلية، فبينهما عموم وخصوص من وجه، ويجتمعان في نحو الخلق والإحياء والإماتة، وتنفرد الفعلية في نحو الاستواء، وتنفرد الإضافية في نحو كونه تعالى كان موجودًا قبل كل شيء، وأنه فوق كل شيء؛ لأن القبلية

والفوقية من الصـــفات الإضـــافية وليســـتا من صـــفات الأفعال"[1].

ثم عرف الصفات الفعلية فقال: " وأما الصفات الفعلية فقد جاء وصف الخالق والمخلوق بها كثير في القرآن ومعلوم أن فعل الخالق مناف لفعل المخلوق كمنافاة ذات الخالق لذات المخلوق. ومن ذلك وصفه جل وعلا نفسه بأنه يرزق الخلق فقال تعالى: (ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ) [الذاريات:58]، وقوله: (ﮌ ﮍ ﮎ) [الجمعة:11]. ووصف بعض المخلوقين بصفة الرزق فقال سبحانه: (ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ) [النساء:8]، وقال: (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ) [البقرة:233]. ولاشك أن ما وصف الله به نفسه من هذا الفعل مخالف لما وصف به منه المخلوق كمخالفة الله لذات المخلوق.

ثم ذكر أمثلة لصفات الأفعال مبينًا منافاة صفات الخالق لصفة المخلوق فقال: (ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ) [يس:71]. ووصف بعض المخلوقين بصفة الفعل الذي هو العمل فقال: (... ﯼ ﯽ) [التحريم:7]. ووصف نفسه بأنه يعلم خلقه فقال: (ﭹ ، ﭻ ﭼ، ﭾ ﭿ ، ﮁ ﮂ) [الرحمن:1-4]. ووصف بعض خلقه بصفة الفعل الذي هو التعليم فقال: (ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ) [الجمعة:2]. وجمع المثالين في قوله: (ﭩ ...) [المائدة:4].

وقد وصف نفسه جل وعلا بأنه ينبئ، ووصف المخلوق بأنه أيضًا ينبئ، وجمع بين صفة الفعل على المثالين في قوله: (ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ) [التحريم:3].

ووصف نفسه بالفعل الذي هو الإيتاء فقال: (ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ) [البقرة:269]، وقال: (ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ...) [هود:3]. ووصف المخلوق بالفعل الذي هو الإيتاء فقال جل وعلا: (ﭡ ﭢ ﭣ) [النساء:20]، وقال: (ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ) [النساء:2].وأمثال هذا كثير في القرآن الكريم[2].

---

1 (?) صفات الله عز وجل في ضوء القرآن الكريم، والرد على المخالفين، تحقيق: عبد الله الدغيثر، (ص/29-30).

2 (?) المصدر السابق، (ص/58-61).

المبحث الثاني: جهودهم في إثبات الصفات الفعلية، وفيه اثنتا عشرة مسألة.

سبق في المبحث الأول تعريف المالكية للصفات الفعلية وأنها الصفات المتعلقة بمشيئة الله تعالى وقدرته، فهو يفعلها كما يشاء وكيف يشاء، وقد يكون بعض هذه الصفات ذاتية من جهة وفعلية من جهة.

وأنهم يثبتونها لله عز وجل على المعنى الحقيقي من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، كما أثبتها الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

وسوف يكون الحديث في هذا المبحث مقتصراً على ثنتي عشرة صفة من صفات الله الفعلية وهي: الاستواء، والنزول، والمجيئ، والرضا، والغضب، والرحمة، والمحبة، والكراهة، والضحك، والعجب، والغيرة، والحياء.

ولا يعني الحديث عن هذه الصفات أن أئمة المالكية لا يثبتون غيرها من صفات الله عز وجل؛ ولكن اقتصرت في الحديث عن هذه الصفات لأن هذه الصفات هي التي كثر الخوض فيها من قبل أهل الزيغ والضلال؛ فأردت أن أبيِّن مخالفة المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً لهؤلاء. وأمر آخر وهو أن القول في بعض الصفات كالقول في الصفات الأخرى، فالمنهج واحد والطريقة واحدة.

ولبيان تقرير المالكية لهذه الصفات قسمت الكلام على هذه الصفات إلى ثنتي عشرة مسألة وذلك وفق الآتي:

المسألة الأولى: صفة الاستواء.

يقرر أهل السنة والجماعة أن الله تعالى مستو على عرشه اسـتواءً يليق بجلاله من غـير تحريف ولا تعطيـل، ومن غـير تكـييف ولا تمثيـل، كتقريـرهم لبقية الصـفات. ومستندهم في ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

أ- فأما الكتـاب، فقد وصف الله تعـالى نفسه بالاستواء على العرش في سبعة مواضع من كتابه:

1. يقول الله عز وجل: (ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ) [الأعراف:54].
2. ويقول عز وجل: (ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ) [يونس:3]
3. ويقول سبحانه: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ) [الرعد:2].
4. ويقول عز من قائل: (ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ) [طه:5].
5. ويقول وهو أصدق القائلين: (ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ) [الفرقان:59]
6. ويقـول تعـالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ) [السجدة:4]
7. ويقول سبحانه وتعـالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ) [الحديد:4]

ففي جميع هـــذه الآيـــات يصف الله عز وجل نفسه بالاسـتواء على عرشـه، ومن أصـدق من الله قيلاً، ومن أصدق من الله حديثاً.

ب- وأما السنة، ففيها ما لا يحصى من الأدلة على استواء الله عز وجل على عرشه. ومن أمثلة ذلك:

ما رواه الإمام البخاري في الصحيح من طريق شيخه قتيبة بن سـعيد المـالكي بسـنده عن أبي هريـرة –رضي الله عنـه-: أن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم قـال: "لما قضى الله الخلق كتب في كتـاب فهو عنـده فـوق العرش أن رحمتي غلبت غضبي"[1].

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على وصف الله عز

1 (?) خرجه البخاري في كتاب بـدء الخلـق، بـاب: مـا جـاء في قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ) ، ومسلم في كتاب التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه.

وجل بالاستواء على عرشه[1] على ما يليق بجلاله. وقد قرر المحققون من أئمة المالكية إثبات صفة الاستواء لله عز وجل على ما يليق بجلاله كغيرهم من أهل السنة والجماعة، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

1- **قول الإمام مالك -رحمه الله-** حيث ثبت عنه بطرق متواترة أنه قد جاءه رجل فقال له: الرحمن على العرش استوى، كيف استوى يا أبا عبد الله؟ فسكت مالك مليًّا حتى علاه الرحضاء، ثم رفع رأسه وقال: "الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والإيمان به واجب، وإني لأظنك ضالاًّ، أخرجوه عني". وقد روى هذه المقولة عن الإمام مالك الأثبات من أصحابه في روايات متعددة[2].

وأصبحت هذه المقالة قاعدة عند أهل السنة والجماعة في جميع الصفات، يرجع إليها في الرد على كل مبتدع، وينطلق منها في إثبات صفات الله عز وجل حيث لا تكاد تجد مؤلفًا لهم في العقيدة إلا وفيه هذه المقولة مثبتة.

كما أن هذه القاعدة الذهبية فيها إقناع لمن أراد الله به الخير ممن اشتبه عليه الأمر في باب الأسماء والصفات. وقد ذكر القاضي عياض في المدارك، بعد إيراده لهذه القصة، أن هذا الرجل بعد أن أمر الإمام بإخراجه ناداه يا أبا عبد الله! والله الذي لا إله إلا هو، لقد سألت عن هذه المسألة أهل البصرة والكوفة والعراق، فلم أجد أحدًا وفق لما وفقت له[3].

2- **ما ذكره الإمام ابن أبي زيد القيرواني** في مقدمة الرسالة حيث قرر هذه المسألة بقوله: "...وأنه

---

1 (?) انظر إجماع أهل السنة على إثبات صفة الاستواء في كتاب المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع، تأليف: خالد بن مسعود الجعيد، وعلي بن جابر العلياني، وناصر بن حمدان الجهني، (ص/376-380).

2 (?) قد جمع هذه الروايات الدكتور سعودبن عبد العزيز الدعجان-حفظه الله-في كتابه الماتع، منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة، انظر: (ص/237) وما بعدها.

3 (?) انظر: ترتيب المدارك، (1/87-88).

فوق عرشه المجيد بذاته، وهو بكل مكان بعلمه، خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، على العرش استوى وعلى الملك احتوى وله الأسماء الحسنى..."[1].

فقوله –رحمه الله- على العرش استوى تقرير لهذه الصفة، وإيضاح ما بعده إيضاح، وفيه اقناع لمن أراد الله هدايته كما أنه موافق لما عليه السلف الصالح، ومن تبعهم بإحسان.

3- ما جاء عن أبي القاسم خلف بن عبد الله المقرئ الأندلسي حيث قال: بعد أن ذكر حديث أبي هريرة –رضي الله عنه- في النزول: "وفيه دليل على أنه تعالى في السماء على العرش فوق سبع سموات من غير مماسة، ولا تكييف، كما قال أهل العلم". ثم قرر هذه المسألة، واستدل بأقوال العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، ورد على المبتدعة الذين يحرفون النصوص عن ظاهرها لما وقع في قلوبهم من التشبيه حيث قال: "وقوله تعالى: ﴿ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ﴾ [طه:5]، أي علا، وتقول العرب استويت فوق الدابة، وفوق البيت. وكل ما قدمت دليل واضح على إبطال قول من يقول بالمجاز في الاستواء، وأن استوى بمعنى استولى؛ لأن الاستيلاء في اللغة المغالبة وإنه لايغالبه أحد. ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة على أنه أريد به المجاز؛ إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا سبحانه وتعالى إلا بذلك".

ثم قال مبينا الموقف من المجاز، وأن الأصل أن يوجه الكلام إلى الأظهر من وجوهه، وأنه لو ادعي المجاز في الكلام لبطل كثير من العبادات. والله عز وجل يخاطب العباد بما تفهمه قلوبهم، وتدركه عقولهم حيث قال: "وإنما يوجه كلام الله تعالى إلى الأشهروالأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له من التسليم. ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع لما ثبت شيء من العبادات.

[1] (?) الرسالة مع شرحها للأمين الحاج محمد أحمد، (ص/17).

وجل الله تعــالى أن يخــاطب إلا بما تعرفه العــرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين".

ثم بين معنى الاستواء فقال: "... والاستواء معلوم في اللغة، وهو العلو والارتفـاع والتمكن من الشـيء..."[1] انتهى.

وهكذا نجد أن الإمام المقري يقرر صفة الاستواء لله على ما يليق بجلاله وفق معتقد أهل السنة والجماعة.

4- قـول ابن أبي زمـنين. قـرر –رحمه اللــه- في أصــول الســنة قــول أهل الســنة والجماعة في صــفة الاستواء ولم يخـرج عما قـرروه في هـذه الصـفة كغيرها من الصفات حيث قال: "...ومن قول أهل السـنة أن الله عز وجل خلق العــرش واختصه بــالعلو والارتفــاع فــوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شـاء، كما أخــبر عن نفسه في قوله: (ڈ ژ ڑ ڑ، ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ) [طه:5-6]، وفي قـوله: (ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ) [الحديد:4]. فسبحن من بعد فلا يرى، وقرب بعلمه وقدرته فسمع النجوى"[2].

وهكذا نجد أن الإمام ابن أبي زمنين يقرر هذه الصفة على ما يليق بالله جل جلاله دون تحريف ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تكييف. شأنه في ذلك شأن بقية أئمة المالكية، كما هو منهج أهل السنة الذين يثبتون ما أثبت الله لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم على حقيقته، ويقفون حيث وقف الكتاب والسنة.

5- قول الحافظ بن عبد البر.

قال –رحمه الله- في كتابه القيم التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، بعد أن ذكر الحديث الثامن الذي رواه الإمام مالك –رحمه الله- من طريق شيخه ابن شهاب –رحمه الله-: "...وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش فوق سبع سماوات، كما قالت الجماعة. وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: -إن الله عز وجل في كل

---

1 (?) الاهتداء لأهل الحـق والاقتـداء، وعنـه نقـل ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية، (ص/113).

2 (?) أصـول السـنة مـع ريـاض الجنـة بتخـريج أصـول السـنة، تحقيق: عبد الله بن محمد البخاري، (ص/88).

مكان وليس على العرش-. والدليل على ما قالوه[3]، أهل الحق في ذلك، قول الله عز وجل: (ﮈ ﮊ ﮋ ﮌ) [طه: 5]، وقوله عز وجل: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ) [السجدة:4] ، وقوله: (ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ) [فُصِّلَت:11]، قوله: (ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ) [الإسراء:42]، وقوله تبارك اسمه: (ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ) [فاطر:10]، وقوله: (ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ) [الأعراف: 143]، ثم ذكر الآيات الدالة على العلو والتي سوف نوردها في موضعها –إن شاء الله-.

ثم قال: "وهذه الآيات كلها واضحات في إبطال قول المعتزلة. وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء، وقولهم في تأويل استوى: استولى، فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة. ومعنى الاستيلاء في اللغة: المغالبة، والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد، وهو الواحد الصمد، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته، حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز؛ إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل علينا إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله عز وجل إلى الأشهر والأظهر من وجوهه، ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم. ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبادات، وجل الله عز وجل أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين، والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم. وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه.

قال أبو عبيدة في قوله تعالى: قال: (ﭽ)، علا. تقول العرب: استويت فوق الدابة، واستويت فوق البيت. وقال غيره: استوى أي انتهى شبابه، واستقر فلم يكن في شبابه مزيد. قال أبو عمر: يعني نفسه.الاستواء الاستقرار في العلو، وبهذا خاطبنا الله عز وجل وقال: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ) [الزُّخرُف:13]، وقال: (ﯯ ﯰ ﯱ) [هود:44]، وقال: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ) [المؤمنون:28].

وقال الشاعر:

فأوردتهم ماء بفيفاء قفرة وقد حلق النجم اليماني فاستوى.

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد استولى؛ لأن النجم لا

---

3 (?) كذا في الأصل. وهي لغة قليلة عند العرب، وهي ما يعرف عند النحويين بلغة أكلوني البراغيث.

يستولي. وقد ذكر النضر بن شميل وكان ثقة مأمونا جليلا في علم الديانة قال:
حدثني الخليل، وحسبك بالخليل قال: أتيت أبا ربيعة الأعرابي وكان من أعلم من رأيت، فإذا هو على سطح ، فسلمنا فرد علينا السلام وقال لنا: استووا، فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال؟ قال: فقال لنا أعرابي إلى جنبه: إنه يأمركم أن ترتفعوا. قال الخليل: هو من قول الله عز وجل: (ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ) [فُصِّلَت:11][1].

وهكذا نجد أن هذا الإمام يقرر صفة الاستواء لله عز وجل على ما يليق بالله سبحانه، مستدلاً على ذلك بقول الله عز وجل. ثم يستشهد بقول العرب؛ إذ أن الاستواء تعرفه العرب من لغتها، والقرآن لا يخاطب العرب إلا بما يعرفونه من لغتهم حيث أن القرآن أنزل بلسان عربي مبين. ولم يحصل الاختلاف في كثير من المسائل إلا لما أعرض كثير ممن يتصدون للعلم والافتاء عن لسان العرب إما بسبب التأثر بلسان العجم، وإما بسبب العجمة أصلا.

ثم رد الإمام أبو عمر على الذين يؤولون الاستواء بالاستيلاء مسفها أحلامهم واصفًا لهم بعدم العدل بسبب الاعراض عن فهم الكتاب والسنة فقال: "وأما نزع من نزع منهم بحديث يرويه عبد الله بن واقد الواسطي عن إبراهيم بن عبد الصمد عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى: (ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ) [طه:5] على جميع بريته، فلا يخلو منه مكان".

فالجواب عن هذا أن هذا حديث منكر عن ابن عباس، ونقلته مجهولون ضعفاء. فأما عبد الله بن واقد الواسطي وعبد الوهاب بن مجاهد فضعيفان، وأما إبراهيم بن عبد الصمد فمجهول لايعرف. وهم لا يقبلون أخبار الآحاد العدول، فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا أو أنصفوا؟ أما سمعوا الله عز وجل حيث يقول: (ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ) [غافر: 36-37] ، فدل على أن موسى –عليه السلام- كان يقول إلهي في السماء وفرعون يظنه كاذبًا[2].

---

1 (?) التمهيد، (7/129-132).
2 (?) التمهيد، (7/132-133).

6- قول القرطبي صاحب التفسير –رحمه الله-.

وممن قرر منهج السلف في الاستواء أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي حيث قال عند تفسير قول الله تعالى: (ک ک ک گ) [الأعراف:54] بعد أن ذكر قول المتكلمين: "وقد كان السلف الأول –رضي الله عنهم- لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى، كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى حقيقة، وخص العرش لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته[1].

وهكذا يقرر –رحمه الله- هذه الصفة لله تعالى مثل بقية الصفات متبعًا بذلك القاعدة الذهبية للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس -رحمه الله- .

7- قول الشيخ أحمد بن مشرف.

قال-رحمه الله- في لاميته الموسومة بِ"الشهب المرمية على المعطلة والجهمية" مقرراً صفة الاستواء لله عز وجل على وفق منهج أهل السنة والجماعة:

نفيتـم صفــات الله فالله أكمــل ... فـسبحـانـه عمـا يقــول المـعـطـل
زعمتـم بأن الله لــيس بمستــو ... على عرشه والاستواء ليس يجهل
فقد جاء في الأخبار في غير موضع ... بلفـظ استــوى لا غيـر يا متـأول
وقـد جـاء في إثبـاتـه عن نبـيـنـا ... من الخبـر المأثـور ما ليس يشكل
فـصـــرح أن الله جــل جــلالـــه ... على عرشـه منـه الملائـك تنــزل.

فقد قرر-رحمه الله- أن الله مستو على عرشه، وأن الاستواء غير مجهول لِوُروده في الكتاب العزيز وفي السنة المطهرة، كما قرر ذلك الإمام مالك-رحمه الله- في مقولته المشهورة.

8- قول الشيخ محمد المكي بن عزوز البرجي -رحمه الله-.

قال رحمه الله تعالى في رسالته عقيدة التوحيد الكبرى مقررًا لصفة الاستواء ووجوب الإيمان بذلك على الحقيقة دون التعرض للكيفية التي لا يمكن العلم بها،

---

1 (?) الجامع لأحكام القرآن، (7/219).

وأن الإيمان بذلك واجب لورود الشرع به، مبينًا أن هذا هو منهج أئمة السلف ومنهم الأئمة الأربعة: "فالله مستو على عرشه بائن من خلقه قريب لهم بعلمه وملائكته. واستواؤه تعالى على عرشه يجب الإيمان به دون التعرض لكيفيته كالسمع والبصر وسائر صفاته تعالى الثابتة بلسان الشرع؛ هذا الذي اتفق عليه الأئمة الأربعة وغيرهم من أساطين السنة"[1].

1 (?) عقيدة التوحيد الكبرى، تحقيق: محمد رشيد علي أبو غزالة، (ص/70-73).

9- قول الشيخ عبد الحميد بن باديس.

قال-رحمه الله- مقرراً صفة الاستواء لله عز وجل وفق منهج أهل السنة والجماعة: "ونثبت الاستواء والنـزول ونحوهما، ونؤمن بحقيقتهما على ما يليق به تعالى بلا كيف، وبأن ظاهرهما المتعارف في حقنا غير مراد"[1].

وهذا هو المنهج الذي سار عليه -رحمه الله- حيث قال مبيناً منهجه في إثبات الأسماء والصفات لله عز وجل: "نثبت ما أثبته لنفسه على لسان رسوله من ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، وننتهي عند ذلك ولا نزيد عليه، وننـزهه في ذلك عن مماثلة أو مشابهة شيء من مخلوقاته"[2].

10- قول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

قرر-رحمه الله- هذه الصفة في تفسيره العظيم أضواء البيان فيقول بعد أن ذكر جملة من صفات الله عز وجل مقررًا لها: "...فإذا حققت ذلك علمت أنه جل وعلا وصف نفسه بالاستواء على العرش، ووصف غيره بالاستواء على بعض المخلوقات، فتمدح جل وعلا في سبع آيات من كتابه باستوائه على عرشه، ولم يذكر صفة الاستواء إلا مقرونة بغيرها من صفات الكمال والجلال القاضية بعظمته وجلاله جل وعلا، وأنه الرب وحده، المستحق لأن يعبد وحده". ثم قال بعد ذكر المواضع التي ورد فيها وصفه تعالى نفسه بالاستواء: "...وقد علمت مما تقدم أنه لا إشكال في ذلك وأن للخالق جل وعلا استواءً لائقًا بكماله وجماله، وللمخلوق أيضًا استواءًا مناسبًا لحاله، وبين استواء الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق على نحو ﴿ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ﴾ [الشورى:11]كما تقدم ...."[3].

وقال في موضع آخر مقررًا لهذه الصفة رادًّا على

---

1 (?) شرح العقائد الإسلامية، (ص/203).
2 (?) المصدر السابق (ص:167).
3 (?) أضواء البيان، (2/373-375).

الذين ينفون هذه الصفة معتمدين على أدلة عقلية منطقية ، معرضين عن دلالة الكتاب والسنة و منهج السلف الصالح في إثبات ما يجب إثباته لله من صفات الكمال والجلال، ونفي ما يجب تنـزيهه عنه من صفات النقص: "فهذه صفة الاستواء تجرأ الآلاف ممن يدعون الإسلام ونفوها عن رب السماوات والأرض بأدلة منطقية يركبون منها قياسًا استثنائيًّا مركبًا من شرطية متصلة ولزومية واستثنائية يستثنون فيه نقيض التالي، ينتجون في زعمهم الباطل نقيض المقدم بناء على أن نفي اللازم يقتضي نفي الملزوم.

فيقولون مثلاً: لو كان مستويًا على عرشه لكان مشابهًا للخلق ، لكنه لم يكن مشابهًا للخلق، فينتجون –ليس مستويًا على العرش-، وعظم هذا الافتراء كما ترى.

ثم قال: اعلموا أن هذه الصفة التي هي صفة الاستواء صفة كمال وجلال تمدح بها رب السماوات والأرض، والقرينة على أنها صفة كمال وجلال أن الله ما ذكرها في موضع من كتابه إلا مصحوبة بما يبهرالعقول من صفات جلاله وكماله التي هي منها"[1].

وهكذا نجد أن علماء المالكية سلفاً وخلفاً يقررون صفة الاستواء لله عز وجل على ما يليق بجلاله كما جاء في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، إثباتًا بلا تمثيل ومن غير تأويل ولاتحريف ولا تكييف على حد قوله تعالى: (ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ). وهذا هو قول أهل السنة والجماعة قديمًا وحديثًا.

قال عبد الله بن المبارك–رحمه الله-: "نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماوات على العرش استوى، بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية"[2].

1 (?) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ضمن مجموع القواعد الطيبات، جمع وتعليق:أشرف ابن عبد المقصود، (ص/66).
2 (?) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، (3/1080).

وقال الأوزاعي: "كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة"[3].

---

3 (?) المصدر السابق، (3/1079).

المسألة الثانية: صفة النزول.

صفة النـزول من الصفات الفعلية الثابتة لله عز وجل، يثبتها أهل السنة والجماعة لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به سبحانه من غير تحريف ولا تشبيه، ومن غير تأويل ولا تكييف، كغيرها من الصفات الثابتة لله عز وجل.

وقد تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم في نزول الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا. وقد روى هذه الأحاديث أكثر من ثمانية وعشرين صحابيًّا، حيث أنه صلى الله عليه وسلم كان يكرر ذكر النـزول في أكثر من موطن[1].

والمحققون من أئمة المالكية –رحمهم الله- يقررون صفة النـزول لله عز وجل على ما يليق بجلاله، شأنهم بذلك شأن بقية السلف الصالح. ويتجلى ذلك من خلال ما سطروه في مؤلفاتهم وما نقلوه لتلاميذهم وقرروه في دروسهم. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

3- **ما رواه مالك** عن أجل شيوخه ابن شهاب الزهري عن أبي سلمة بن عبدالرحمن

وأبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ينـزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له"[2].

قال ابن عبد البر في شرح الموطأ: هذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الاسناد، ولا يختلف أهل العلم في

---

1 (?) انظر مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزيـة، اختصـار: محمـد بن الموصـلي، تخـريج: الدكتور الحسن بن عبد الرحمن العلـوي، (3/1108-1239)، وانظر صفة النـزول الإلهي وردّ الشبهات حولها، تـأليف: عبـد القادر بن محمد الجعيدي، (ص/56-220).

2 (?) رواه البخاري في أبواب التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخـر الليـل؛ ومسـلم في كتـاب الصـلاة، بـاب:الـترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه.

صحته؛ رواه أكثر الرواة عن مالك هكذا"[3].

3 (?) التمهيد، (7/127).

2- **قال الإمام ابن أبي زمنين** في كتابه أصول السنة: باب في الإيمان بالنـزول: "ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل ينـزل إلى السماء الدنيا، ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حدًّا[1].

ثم ساق بسنده حديث مالك المتقدم من طريقين ثم قال: وأخبرني وهب عن ابن وضاح عن زهير بن عباد قال: كل من أدركت من المشايخ: مالك وسفيان وفضيل بن عياض وعيسى وابن المبارك ووكيع يقولون: النـزول حق. وقال ابن وضاح: وسألت يوسف بن عدي عن النـزول فقال نعم: أُقِرُّ به ولا أَحُدُّ حدًّا. وسألت ابن معين

---

[1] (?) استعمال الحد من الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل؛ وذلك أن الجهمية يقولون: إن الخالق لا يتميز عن الخلق، فيجحدون صفاته التي يتميز بها، وزعموا أنه ليس له حد ولا حد له ولا يباين المخلوقات ولا يكون فوق العالم؛ وهم بذلك ينفون وجود الخالق –عز وجل-. فرد عليهم السلف وأثبتوا ذلك لما فيه من مباينة الخالق لخلقه وقالوا: أنه حد لا يعلمه إلا الله. قال شيخ الإسلام بعد أن نقل الآثار الواردة عن السلف في إثبات الحد: "فهذا وأمثاله مما نقل عن الأئمة كما قد بسط في غير هذا الموضع. وبينوا أن ما أثبتوه له من الحد لا يعلمه غيره كما قال مالك وربيعة وغيرهما: "الاستواء معلوم والكيف مجهول". فبين أن كيفية استوائه مجهولة للعباد. فلم ينفوا ثبوت ذلك في نفس الأمر، ولكن نفوا علم الخلق به. وكذلك مثل هذا في كلام عبد العزيز بن عبد الله الماجشون، وغير واحد من السلف والأئمة ينفون علم الخلق بقدره وكيفيته، تعارض العقل والنقل، (2/235). فإثبات الحد عند أهل السنة والجماعة ثابت من حيث أن الله يوصف بأنه في جهة العلو، ولكنهم ينفون إدراك حقيقة ذلك، فهذا معنى قولهم: لا نحد فيه حدًّا. فتنبه!

وانظر في هذا الباب: بيان تلبيس الجهمية، (3/6) وما بعدها، وانظر كتاب إثبات الحد لله عز وجل، تأليف: أبو محمد محمود بن أبي القاسم الدشني، ت:665هـ، تعليق وتقديم: مسلط ابن بندر العتيبي، وعادل بن عبد الله آل حمدان.

فقال نعم: أقربه ولا أَحُدُّ فيه حدًّا"[1].

فقد قرر-رحمه الله- صفة النـزول لله عز وجل على ما يليق بجلاله، وبين أن تقرير صفة النـزول لله عز وجل هو قول أهل السنة والجماعة.

3- **قال الحافظ بن عمرو الداني** في أرجوزته:

ومن صحيح ما أتى به الخبر وشاع في الناس قديما وانتشر
نـزول ربنا بلا امتراء في كل ليلة إلى السماء
من غير ما حد ولا تكييف سبحانه من قادر لطيف[2].

فقوله: "من صحيح ما أتى به الخبر" أي أن الأخبار التي جاءت بذكر النـزول صحيحة. وبين أن هذه الأخبار قد تواترت بين الناس وشاعت واشتهرت فوجب الإيمان بذلك.

وفي قوله: "من غير ما حد ولا تكييف"، يشير إلى نفي العلم بالكيفية حيث أن النصوص جاءت بذكر النـزول دون الكيفية والعقول قاصرة عن العلم بذلك. فوجب الإيمان بحقيقة النـزول وأنه ثابت لله عز وجل مع جهل حقيقة الكيفية كما في القاعدة الذهبية للإمام مالك –رحمه الله- في الاستواء: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة".

وهكذا نجد أن هذا الإمام -رحمه الله- يقرر صفة النـزول على حقيقتها دون التعرض لكيفيتها كما هو منهج أهل السنة والجماعة.

4- **قال الإمام الحافظ بن عبد البر-رحمه الله-**:

"والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة[3] أنهم يقولون: ينـزل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويصدقون بهذا الحديث، ولا يكيفون، و القول في كيفية النـزول كالقول في كيفية الاستواء

---

[1] (?) شرح أصول السنة مع رياض الجنة، تحقيق: عبد الله بن محمد البخاري، (ص/113).

[2] (?) الرسالة الوافية، (ص/26).

[3] (?) قوله هنا –جمهور أهل السنة- أي أكثر أهل السنة وهو خلاف قول الأشاعرة من إطلاقهم جمهور أهل السنة على الأشاعرة. فتنبه!

والمجيء، والحجة في ذلك واحدة"[1].

وقال: روى بن المبارك عن أبي بكر بن عثمان قال: حدثني أبو عقيل عن عائشة قالت: يوم عرفة يوم المباهاة. قيل لها : وما يوم المباهاة؟ قالت: ينـزل الله يوم عرفة إلى السماء الدنيا ثم يدعو ملائكته ويقول: "انظروا إلى عبادي، شعثًا غبرا، بعثت إليهم رسولا فآمنوا به، وبعثت إليهم كتابًا فآمنوا به، يأتوني من كل فج عميق، يسألوني أن أعتقهم من النار، فقد أعتقتهم، فلم ير يوم أكثر أن يعتق فيه من النار من يوم عرفة"[2].

وقال مبينًا موقف السلف من نصوص الصفات –وهو وجوب إثباتها كما جاءت وعدم التعرض للكيفية والتحديد-: "وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ينـزل ربنا إلى السماء الدنيا" عندهم مثل قول الله عز وجل: ( ) [الأعراف:143]، ومثل قوله: ( ) [الفجر: 22].كلهم يقول ينـزل ويتجلى بلا كيف، ولا يقولون كيف يجيء؟ وكيف يتجلى؟ وكيف ينـزل؟ ولا من أين جاء؟ ولا من أين يتجلى؟ ولامن أين ينـزل؟ لأنه ليس كشيء من خلقه، تعالى الله عن الأشياء ولا شريك له"[3].

5- **قول الإمام عبد الله بن محمد القحطاني الأندلسي المالكي.**

قرر-رحمه الله- صفة النـزول لله عز وجل في نونيته التي قرر فيها صفات الله عز وجل وردّ على الجهمية والأشاعرة وغيرهم من طوائف الضلال. فقال-رحمه الله- في تقرير صفة النـزول:

والله ينــزل كل آخر ليلــة لسمـائــه الدنيا بـلا كتمـان
فيقول هل من سائل فأجيبه فأنا القريب أجيب من ناداني
حاشا الإلـه بأن تكيف ذاتــه فالكيـف والتمثيـل منتفيان
والأصل أن الله ليس كمثلـه شيء تعالى الـرب ذو الإحسان

فقد قرر-رحمه الله- أن الله عز وجل ينـزل إلى السماء الدنيا في آخر كل ليلة، وهو يشير بذلك إلى حديث أبي هريرة الصحيح، والذي أخبر فيه النبي صلى الله عليه وسلم أن الله ينـزل كل ليلة إلى سماء الدنيا.

ثم قرر-رحمه الله- معتقد أهل السنة والجماعة في

---

1 (?) التمهيد، (7/142).
2 (?) التمهيد، (1/120).
3 (?) المصدر السابق، (7/153).

نزول الله عز وجل لأن الله تعالى: (ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ) [الشورى:11]، فالنـزول حق، والإيمان به واجب، والكيف مجهول، والسؤال عن الكيفية بدعة؛ كما قرر ذلك الإمام مالك في صفة الاستواء.

6- قول الشيخ أحمد بن مشرف الوهبي التميمي المالكي.

حيث قرر في منظومته اللامية التي ردّ فيها على الجهمية والمعتزلة وسماها: "الشهب المرمية على المعطلة والجهمية" يقول فيها مقرراً صفة النـزول لله عز وجل على ما يليق بجلاله:

وقد صح أن الله في كل ليلة ... إذا ما بقي ثلث من الليل ينـزل
إلى ذي السما الدنيا ينادي عباده ... إلى أن يكون الفجر في الأفق مشعل
يناديهم: هل تائب من ذنوبه؟ ... فإني لغفار لها متقبل
وهل منكم داع، وهل سائل لنا ... فإني أجيب السائلين، وأجزل

ثم بين-رحمه الله- قاعدة عامة فيما يجب نحو صفات الله عز وجل، ومنها النـزول فقال:

على ذا مضى الهادي النبي وصحبه ... وأتباعهم خير القرون وأفضل
فاخلف قوم آخرون فحرفوا ... نصوص كتاب الله جهلا وأولوا
فجاؤوا بقول سيئ سره وما ... بدا منه يزهو بالآلي مكلل
هم عطلوا وصف الإله وأظهروا ... بذلك تنـزيهاً له، وهو أكمل
ومن نزه الباري بنفي صفاته ... فما هو إلا جاحد ومعطل
فيا أيها النافي لأوصاف ربه ... لقد فاتك النهج الذي هو أمثل
تحيد عن الذكر الحكيم ونصه ... وتزور عن قول الرسول وتعدل
وتنفي صفات الله بعد ثبوتها ... بنص من الوحيين ما فيه مجمل
إذا جاء نص محكم في صفاته ... جحدت له أو قلت: هذا مؤول
ألا تقتفي آثار صحب محمد ... فمنهاجهم أهدى، وأنجى، وأفضل
فما مذهب الأخلاف أعلم بالهدى ... من القوم لو أنصفت أو كنت تعدل
ولكنه من بعض ما أحدث الورى ... ومن يبتدع في الدين فهو مضلل

فمما تقدم يبين لنا أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يقررون صفة النـزول لله عز وجل، وأنه ينـزل نزولا يليق بجلاله، فلا يعطلون ولا يمثلون، ولا يؤولون ولا يكيفون،شأنهم في ذلك شأن إخوانهم من أئمة السلف.

فهذا الإمام محمد بن إدريس الشافعي-رحمه الله- يقول مبينًا هذه العقيدة التي تلقاها عن سلفه الكرام من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، داعيًا من جاء بعده للزومها والتمسك بها: "القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها، أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ، وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف يشاء، وأن الله تعالى ينـزل إلى السماء الدنيا كيف يشاء"[1]. انتهى.

---

1 (?) مختصر العلو، (ص/176).

المسألة الثالثة: صفة المجيء.

من الصفات الفعلية التي يثبتها أهل السنة والجماعة صفة المجيء والإتيان، وهما بمعنى واحد. وهي من الصفات المتعلقة بمشيئته تعالى. فأهل السنة والجماعة يعتقدون أن الله تعالى يأتي بنفسه كيف شاء؛ لأنه سبحانه وتعالى ذكر المجيء في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، ورسوله أعلم الخلق بربه ولا ينطق عن الهوى.

يقول الله عز وجل: (ى ى) [البقرة:210] ، ويقول سبحانه: (ٻ ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ) [الأنعام:158] ، ويقول عز وجل: (ې ې ې ﯜ ، ﯠ) [الفجر: 21-22].

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها، أو منافقوها –شك إبراهيم- فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون:هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاءنا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه..." الحديث[1].

وتصديقًا لهذه النصوص وغيرها مما في حكمها يثبت أهل السنة والجماعة، ومنهم أئمة المالكية، هذه الصفة لله تعالى على ما يليق بجلاله، كغيرها من صفات الله عز وجل. ومن أمثلة ذلك:

1- ما ذكره **الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني** في خطبة الرسالة حيث قال: باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات- إلى أن قال:"... وأن الله تبارك وتعالى يجيء يوم القيامة والملك صفًّا صفًّا لعرض الأمم

---

[1](?) خرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (ڀ ڀ ٺ) (ٺ ٿ ٿ) [القيامة:22-23]؛ ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

وحسابهم"[1].

فهذا القول من أبي محمد-رحمه الله- يدل دلالة واضحة على إثبات هذه الصفة لله عز وجل، وأنه يجب إثباتها له عز وجل كغيرها من صفاته؛ كما يدل على اهتمام أئمة المالكية بهذا الأمر، وهو توحيد الله عز وجل. فهذه الرسالة التي ألفها مؤلفها لتعلم للصغار لينشؤوا عليها وعلى تحقيقها ليكون ذلك أسبق إلى قلوبهم مما يكون أدعى لرسوخه فيها؛ ولذا فقد اهتم بها أئمة المذهب قديمًا وحديثًا كما تقدم.

2- قال **القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي البغدادي-رحمه الله-** أثناء شرحه للرسالة عند قول ابن أبي زيد المتقدم –وأن الله يجيء يوم القيامة والملك صفًّا صفًّا-: "وهذا لقوله عز وجل: (ﯾ   ) [الفجر: 22]، فأثبت نفسه جائيًا؛ ولا معنى لقول من يقول: إن المراد به جاء أمر ربك؛ لأن ذلك إضمار في الخطاب يزيله عن مفهومه، ويحيله عن ظاهره، لاحاجة بنا إليه"[2].

فقد صرح –رحمه الله- بوجوب إثبات صفة المجيء لله تعالى لأن الله صرح في كتابه بمجيئه، ثم أنكر على الأشاعرة ومن نحى نحوهم ممن يحرفون كلام الله عز وجل ويصرفونه عن ظاهره ليتوصلوا إلى إنكار هذه الصفة، مبينًا أن الأصل في الكلام حمله على ظاهره ما لم يدل دليل صحيح صريح على خلاف ذلك، ولا وجود لمثل هذا في هذا الموضع، فدل على أنه لا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره وأنه لا حاجة لذلك.

3- قال **الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر** في معرض رده على الذين ينكرون بعض صفات الله عز وجل كالعلو والاستواء: "... ومثل قوله: (ﯾ   ) كلهم يقول: ينـزل ويتجلى ويجيء بلا كيف. لا

---

1 (?) مقدمة الرسالة مع شرحها، إعـداد: الأمين الحـاج محمـد أحمد، (ص/17)؛ والجامع، (ص/140).

2 (?) شرح عقيدة الإمام مالك الصغير-أبي محمد عبد اللـه بن أبي زيد- للقاضي عبد الوهاب البغدادي، (ص/95-96).

يقولون كيف يجيء؟ وكيف يتجلى؟ وكيف ينـزل؟ ولا من أين جاء؟ ولا من أين يتجلى؟ ولامن أين ينـزل؟ لأنه ليس كشيء من خلقه، تعالى عن الأشياء"[1].

1 (?) التمهيد، (7/153).

فقد صرح –رحمه الله- أن إثبات هذه الصفة كغيرها من صفات الله عز وجل هو منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، وإجرائها على ظاهرها دون التعرض لكيفيتها أو تعريضها للتأويل والتحريف حيث قال عنهم أنهم قالوا: "يجيء بلا كيف"، والمعنى بلا كيف يعرف. وهذا منه إثباتًا للقاعدة الذهبية للإمام مالك في الاستواء.

4- وقال **الإمام عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني المالكي** في النونية مقرراً صفة المجيئ لله عز وجل على ما يليق بجلاله:

والله يومئذ يجيء لعرضنا ... مع أنه في كل وقت دان
والأشعري يقول يأتي أمره ... ويعيب وصف الله بالإتيان
والله في القرآن أخبر أنه ... يأتي بغير تنقل وتدان
وعليه عرض الخلق يوم معادهم ... للحكم كي يتناصف الخصمان
والله يومئذ نراه كما نرى ... قمراً بدا للست بعد ثمان[1]

فقد قرر -رحمه الله- أن الله عز وجل يجيئ يوم القيامة لمحاسبة الخلائق، كما قال تعالى: (ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ) [الفجر:22]. ثم ردّ على الأشاعرة الذين يؤولون مجيئه بمجيئ أمره، خوفاً من التشبيه بزعمهم؛ وقد وقعوا فيما هو شر مما فروا منه حيث أنهم شبهوا الله بخلقه أولاً، ثم أرادوا التنـزيه بزعمهم؛ فعطلوا الله من صفة من صفاته التي أثبتها لنفسه في كتابه، وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته، ولم يكتفوا بذلك؛ بل عابوا على أهل الحق الذين يثبتون لله ما أثبته لنفسه من صفة المجيئ، ويصفونهم بالأوصاف المنفرة حيث يقولون عنهم: مجسمة وممثلة-تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً-.

ثم بين المنهج الذي يجب أن يُسلك في إثبات هذه الصفة وغيرها، ألا وهو الوقوف مع النص حيث أن الله أخبرنا بأنه يأتي، لم يبيِّن كيفية الإتيان؛ فوجب الوقوف حيث وقف النص، وعدم تجاوز ذلك أو تسليط طاغوت

---

1 (?) النونية، (ص/29).

النفي أو التمثيل.

فجزى الله أبا محمد خير الجزاء، وجعل الجنة منـزلنا ومنـزله، وأتم علينا النعمة برؤية ربنا في جنات النعيم.

5- قال **العلامة محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-** عند قوله تعالى: (ﭙ ﭚ ﭛ) [الأنعام:158] ، أي: يأتيهم لفصل الخطاب يوم القيامة فيعذبهم العذاب الأكبر عندما يأتي ليحاسب الناس على أعمالهم. وإتيان الرب هنا هو معنى قوله جل وعلا: (ﯩ□□□□□) [الفجر:22] ، وقوله: (□□□□□□□□□□□□□□□□) [البقرة:210]. وهذه الآيات ونحوها من الآيات، كمجيء الرب في هذه الآيات الذي أخبر به عن نفسه، كنـزوله إلى السماء الدنيا ثلث الليل الآخر: "يقول: هل من داع فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له؛كل هذه من آيات الصفات وأحاديثها أشكلت على آلاف الخلف وضل فيها ملايين الناس من حذاق النظار الفحول العلماء؛ لأن التوفيق بيد الله"[1].

فبين-رحمه الله- أن الواجب على المسلم أن يقف مع النصوص ولا يتجاوزها، فما أثبتته لله أثبته على الوجه اللائق. وهذه قاعدة في جميع نصوص الصفات: فما يقال في النـزول يقال في المجيء وغيره من الصفات.

وهكذا يقرر علماء المالكية سلفاً وخلفاً إثبات صفة المجيء لله عز وجل كما أجمع عليه أهل السنة والجماعة ولم يشذ عنهم إلا من ضل عن الصراط المستقيم وامتلأ قلبه بنجاسة التشبيه والتحريف والتأويل، عياذًا بالله.

يقول شيخ الاسلام أبو العباس بن تيمية -رحمه الله-: "وأما كون إتيانه ومجيئه ونزوله ليس مثل إتيان المخلوق، فهذا أمر ضروري متفق عليه بين علماء السنة، ومن له عقل، فإن الصفات والأفعال تتبع الذات المتصلة الفاعلة. فإذا كانت ذاته مباينة لسائر الذوات، ليست مثلها، لزم ضرورة أن تكون صفاته مباينة لسائر

---

[1] (?) العـذب النمـير من مجـالس الشـنقيطي في التفسـير، (2/562).

الصفات، ليست مثلها؛ ونسبة صفاته لذاته كنسبة صفة كل موصوف إلى ذاته"[1].

1 (?) الفتاوى، (16/422)

المسألة الرابعة: صفة الرضى.

أهل السنة والجماعة يثبتون صفة الرضى لله عز وجل، وأنه يوصف بالرضا، وأنها من صفاته الفعلية المتعلقة بمشيئته وإرادته كما وصف نفسه بذلك في كتابه ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة في إثبات هذه الصفة لله عز وجل مما يضيق المجال عن حصرها. فمن ذلك: قوله عز وجل: (□□□□□□□□□□) [المائدة:119]. وقوله عز وجل: (ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ) [التوبة: 96].وقوله سبحانه: (ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ) [الفتح:18].

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا"[1].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً"[2].

وقد أجمع أهل السنة على وصف الله عز وجل بالرضى على ما يليق بجلاله[3].

والمحققون من أئمة المالكية -رحمهم الله- يقررون هذه الصفة لله تعالى كغيرها من الصفات على الوجه اللائق بالله عز وجل، شأنهم في ذلك شأن سلف الأمة.

---

1 (?) أخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب النهي عن السائل.

2 (?) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة.

3 (?) انظر المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع، (ص/440-449).

ومن أمثلة ذلك:

1- قول الإمام مالك-رحمه الله تعالى-.

1- فقد روى في الموطأ عن شيخه يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم ابن الحارث التيمي عن عائشة –رضي الله عنها- قالت: "كنت نائمة إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتفقدته من الليل، فلمسته بيدي، فوضعت يدي على قدميه وهو ساجد، وهو يقول: "أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناءًا عليك، أنت كما أثنيت على نفسك"[1].

2- وأخرج بسنده عن بلال بن الحارث المزني –رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه"[2].

فرواية الإمام مالك هذين الحديثين وغيرهما في موطئه الذي صنفه من أجل حماية العقيدة من الجهمية الذين يحرفون النصوص ويشبهون الصفات، وينفون عن الله ما أثبته لنفسه، يدل على تقريره لهذه الصفة، وأنه يرى أنها ثابتة لله عز وجل على ما يليق بجلاله كغيرها من الصفات.

2- قول الإمام ابن أبي زيد القيرواني.

قال-رحمه الله- مقرراً لصفات الله عز وجل، مبيناً أن الأئمة قد أجمعوا على تقرير صفات الله عز وجل ومنها صفة الرضى: "فمما أجمعت الأمة عليه من أمور الديانة والسنن التي خلافها بدعة وضلالة: أن الله تبارك وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، لم يزل بجميع صفاته" ... ثم ذكر عدداً من الصفات فقال: "وأنه يرضى عن الطائعين ويحب التوابين"[3].

---

1 (?) رواه مالك في الموطأ، باب الدعاء، برقم (620)؛ ومسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود.

2 (?) الموطأ، (2/164)، كتاب الكلام، باب: ما يؤمر به من التحفظ في الكلام.

3 (?) الجامع، (ص/129-140).

فقرر-رحمه الله- صفة الرضى لله عز وجل كما هو معتقد أهل السنة والجماعة، ولم يسلط عليها التأويل كما هي طريقة المبتدعة؛ وهذا من أكبر الأدلة على إثباته-رحمه الله- لصفة الرضى لله سبحانه.

3- **قول القاضي عياض**.

قال -رحمه الله تعالى- عند شرحه لحديث أبي ذر-رضي الله عنه- قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ قال: "تلك عاجل بشرى المؤمن"[1].

قال القاضي عياض-رحمه الله-: "وقوله للرجل يعمل الخير ويحمده الناس: "تلك عاجل بشرى المؤمن"، أي: عنوان على رضى الله عنه وحبه له بدليل الحديث المتقدم: "ثم يوضع له القبول في الأرض"[2][3].

4- **قول الشيخ محمد بن الأمين الشنقيطي -رحمه الله-**.

قال-رحمه الله- وهو يقرر صفات الله عز وجل، مبيناً أن من صفات الله عز وجل الرضى وأن اتصافه بذلك لا يماثل رضى المخلوقين؛ فرضاه سبحانه وتعالى يليق بجلاله وعظمته، ورضى المخلوق يناسب حاله وضعفه، فقال: "ووصف نفسه جل وعلا بالرضى، ووصف الحادث به أيضاً فقال: () [المائدة:119] ... ثم قال: والمقصود عندنا ذكر أمثلة كثيرة من ذلك، مع إيضاح أن كل ما اتصف به جل وعلا من تلك الصفات بالغ من غايات الكمال والعلو والشرف ما يقطع علائق جميع أوهام المشابهة بين صفاته جل وعلا، وبين صفات خلقه، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً"[4].

ومن خلال هذه النقول عن أئمة المالكية يتبين لنا أن

---

1 (?) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره.

2 (?) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: إذا أحب الله عبداً من عباده.

3 (?) إكمال المعلم، شرح صحيح مسلم، (8/58).

4 (?) أضواء البيان، (2/372).

المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يثبتون لله عز وجل صفة الرضى، وأنها من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته سبحانه وتعالى، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، يدل لذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- حيث قال: "ومن المعلوم أنه قد دل الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة على أن الله يحب ويرضى ما أمر بفعله من واجب ومستحب وإن لم يكن ذلك موجوداً"[1].

[1] (?) مجموع الفتاوى، (10/75).

المسألة الخامسة: صفة الرحمة.

من عقيدة أهل السنة والجماعة إثبات صفة الرحمة لله تعالى، وأنه موصوف بالرحمة على ما يليق بجلاله. وهذه الصفة من الصفات الفعلية الذاتية. فهي ذاتية باعتبار أن الله تعالى موصوف بها أبدًا، فالرحمة لا تنفك عنه؛ وفعلية باعتبار تعلقها بمشيئته، فهو يرحم من يشاء ويعذب من يشاء.

وقد دل الكتاب والسنة على اتصاف الله بالرحمة. ومن ذلك: قوله تعالى: (ﮭ ﮬ ﮫ) [الكهف:58]، وقوله: (ۆ ۈ ۇ) [يوسف:92]، وقال تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ) [الأعراف:156] ، وقوله: (ۋ ۋ) [الأعراف:56] ، وقوله: (ۋ ۋ) [غافر:7] ، وقوله: ( ) [الأحزاب:43].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى"[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "لله أرحم بعباده من هذه بولدها"[2]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يرحم الله من لا يرحم الناس"[3]، وقوله عليه الصلاة والسلام: "إنما يرحم الله من عباده الرحماء"[4]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله كتب كتاباً عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي"[5] وفي رواية: "غلبت غضبي"، وغير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على اتصاف الله عز وجل

---

1 (?) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: السهولة والسماحة في الشراء والبيع.

2 (?) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته؛ ومسلم في كتاب التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه.

3 (?) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب:(ژ ژ ڑ ڑ ک ک)؛ ومسلم في كتاب الفضائل، باب: رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال، وتواضعه، وفضل ذلك.

4 (?) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه؛ ومسلم في كتاب الجنائز، باب: البكاء على الميت.

5 (?) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء.

بالرحمة.

وأهل السنة مجمعون على إثبات صفة الرحمةلله تعالى كغيرها من الصفات، إثباتًا بلا تمثيل ومن غير تحريف ولا تكييف ولا تعطيل، (ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ) [الشورى: 11]. والأئمة من المالكية لا يخرجون عما يقرره أهل السنة والجماعة من إثبات هذه الصفة لله تعالى. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

1- **قول الإمام مالك**.

- فقد روى-رحمه الله- في موطئه بسنده عن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم الكتاب فهي خداج. هي خداج غير تمام". قلت[1]: يا أبا هريرة، إني أحيانًا أكون خلف الإمام؟ قال: فغمز ذراعي، ثم قال: اقرأ بها في نفسك يا فارسي، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله تبارك وتعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرؤوا. يقول العبد: (ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ) ، يقول الله: حمدني عبدي. يقول العبد: (ﭗ ﭘ ﭙ) ، يقول الله أثنى علي عبدي. يقول العبد: (ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ) ، يقول الله: مجدني عبدي. يقول العبد: (ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ) ، يقول الله: هذه بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل. يقول العبد: (ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ) ، يقول الله: هؤلاء لعبدي، ولعبدي ما سأل"[2].

فهذا النص قد جمع أمهات الصفات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الفاتحة إنها أم القرآن، وذلك -والله أعلم- لجمعها أصول الأسماء والصفات خاصة، وأصول الدين والعبادة وجزاء المتقين والمخالفين. وهذا

---

1 (?) القائل هو أبو السائب مولى هشام بن زهرة كما في الموطأ.

2 (?) الموطأ، (1/94-95)، باب: العمل في القراءة فيما لم يجهر فيه.

الحديث العظيم يتضمن الثناء بصفة الرحمة من العبد على ربه وإجابته تبارك وتعالى بقوله:"أثنى علي عبدي".

- وروى عن نافع عن عبد الله بن عمرأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم ارحم المحلقين، قالوا: والمقصرين يا رسول الله! قال: اللهم ارحم المحلقين قالوا: والمقصرين يا رسول الله قال: والمقصرين"[1].

- وروى عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه سمع عمر بن الخطاب، وهو على المنبر، يعلم الناس التشهد، يقول: قولوا: التحيات لله، الزاكيات لله، الطيبات الصلوات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله"[2].

فهذه الأحاديث فيها الدلالة على إثبات اتصاف الله بالرحمة، وفي رواية الإمام أبي عبد الله لها تقرير لهذه الصفة كما هو مذهب أهل السنة.

2- **قول أبي عبد الله القرطبي، صاحب التفسير.**

قال-رحمه الله- مقرراً صفة الرحمة لله عز وجل: "فالرحمن يدل على صفته العامة المختصة به جل جلاله، ويستحيل أن يوجد مخلوق تعم رحمته جميع المخلوقين من أوليائه وأعدائه، والرحيم وصف يدل على الفعل الذي تقع المشاركة فيه؛ ولذلك وصف نفسه بأنه خير الراحمين، وأرحم الراحمين كما في قوله تعالى: (ی ی ی یی) [المؤمنون:118]، وقوله تعالى: (ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ) [يوسف:64]. وقال لعبده ونبيه عيسى عليه السلام: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ) [المائدة:110]، فلما وقعت المشاركة فيه قال: (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ) [المؤمنون: 14]كما قال: (ﭤ ﭥ) و(ﯾ ﯿ)[3].

---

[1] (?) الموطأ، (1/536)، باب: العمل في الحلاق.

[2] (?) الموطأ، (1/90)، باب التشهد في الصلاة.

[3] (?) وكأنه يشير-رحمه الله- أن الاشتراك هنا بالوصف لا يعني المماثلة في حقيقة الصفة؛ فللمخلوق من الرحمة ما يناسب

وهذان الاسمان يدلان على أنه سبحانه راحم، وأن له رحمة ومرحوم؛ فيوصف سبحانه بأنه "رحمان" بصفته الخاصة به، ويوصف بأنه "رحيم" بفعله الذي يرحم به من يشاء"[4].

مما تقدم يتبين أن القرطبي-رحمه الله- يقرر صفة الرحمة لله عز وجل وأن الله موصوف بالرحمة على ما يليق بجلاله وعظمته، وأنه رحمان رحيم، وأنه يرى صفة الرحمة لله عز وجل صفة ذاتية: فهو سبحانه وتعالى رحمان، وهي صفة فعلية من حيث تعلقها بالمرحوم، فهو يرحم من يشاء سبحانه وتعالى.

3- **قول الحافظ بن عبد البر**.

قال-رحمه الله- مقرراً صفة الرحمة لله عز وجل: "فالذي أجمع عليه العلماء في هذا الباب هو أنه من حلف بالله، أو باسم من أسماء الله، أو بصفة من صفاته، أو بالقرآن، أو بشيء منه فحنث؛ فعليه كفارة يمين على ما وصف الله في كتابه من حكم الكفارة، وهذا ما لا خلاف فيه عند أهل الفروع وليسوا في هذا الباب بخلاف. وأجمع العلماء على أن تصريح اليمين بالله هو قول الحالف: بالله أو والله أو تالله، واختلفوا فيمن قال: والله والله والله، أو والله والرحمن، أو والرحمن والرحيم، أو والله والرحيم الرحمان. فتحصيل مذهب مالك وأصحابه في ذلك وهو قول الأوزاعي والبتي: أنها يمين واحدة أبداً إذا كرر شيئا مما ذكرنا.

فقد قرر-رحمه الله- أن الحلف بالرحمن والرحيم كالحلف بالله عز وجل؛ لأنه يرى أن الرحمان والرحيم اسمان لله عز وجل متضمنان صفة الرحمة لله عز وجل

حاله وضعفه، وللخالق ما يناسب كماله وجماله وقدرته سبحانه، فالمماثلة في الصفة لا تعني المماثلة في حقيقتها. والأمثلة على ذلك كثيرة. انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للعلامة محمد بن صالح العثيمين، (ص/64-65)، القاعدة السادسة.

4 (?) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته، (ص/408).

كما هو منهج أهل العلم؛ ولأن الباب واحد فالقول في الصفات تبع للقول في الذات. ويوضّح ذلك قوله-رحمه الله- بعد أن ذكر أقوال أهل العلم في الكفارة: "قال أبو عمر: لا يختلفون فيمن قال: والله العظيم الرحمن الرحيم، ونحو هذا من صفاته عز وجل أنها يمين واحدة؛ وإنما اختلفوا إذا أدخل الواو، وقال زفر: إذا قال: والله الرحمان، كانت يميناً واحدة"[1].

وقال في مقدمة كتاب الاستذكار: "الحمد لله رب العالمين الذي لا يبلغ وصف صفاته الواصفون، ولا يدرك كنه عظمته المتفكرون ... يقضي بالحق وهو خير الفاصلين، ذو الرحمة والطول، وذو القوة والحول ..."

فأثنى-رحمه الله تعالى- على ربه عز وجل بذكر صفاته التي لا يحيط الخلق بشيء منها، ومنها: الرحمة، فوصفه بأنه ذو الرحمة أي: المتصف بالرحمة؛ وهذا يدل على إثباته وتقريره لهذه الصفة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وكماله.

4- **قول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-** حيث يقول: "قوله تعالى: (ﭗ ﭘ)، هما وصفان لله تعالى واسمان من أسمائه الحسنى، مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، و(ﭗ) أشد مبالغة من الرحيم، لأن الرحمن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة، و (ﭘ) ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة. وعلى هذا أكثر العلماء"[2].

فقد قرر-رحمه الله- صفة الرحمة لله عز وجل وأنه متصف بها وهي من صفات ذاته، وأفرادها من صفات فعله، فالله عز وجل ذو الرحمة، وهو الرحمن الرحيم كما وصف نفسه بذلك في كتابه وكما وصفه -أعلم خلقه به ، الذي لا ينطق عن الهوى- صلى الله عليه وسلم.

وبهذا يتبين لنا أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يقررون إثبات صفة الرحمة لله عز وجل ويثبتونها

---

1 (?) التمهيد، (14/369-370).

2 (?) أضواء البيان، (1/23-24).

له على ما يليق بجلاله على الحقيقة من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل كما أثبت ذلك لنفسه سبحانه، وهذا هو منهج السلف الصالح. ومن أمثلة ذلك ما قرره ابن القيم-رحمه الله- حيث يقول: "إن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل. فالأول دال أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته"[1].

---

1 (?) بدائع الفوائد، (1/27).

المسألة السادسة: صفة الغضب.

الغضب من الصفات الفعلية الثابتة لله عز وجل، المتعلقة بمشيئته تعالى؛ يثبتها أهل السنة والجماعة كغيرها من الصفات، على الحقيقة دون تحريف ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تكييف. وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله عز وجل: (ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ) [النساء:93]

وقال عز وجل: (ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ) [المجادلة:14].

والآيات في إثبات صفة الغضب لله أكثر من أن تحصر؛ والمتتبع لذلك يجد أنها جاءت بلفظ الغضب تارة كما تقدم، وتارة بلفظ السخط كما في قوله تعالى: (ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ) [المائدة:80] وقوله: (ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ) [آل عمران:162]، وأخرى بلفظ الأسف كما في قوله تعالى: (ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ) [الزُّخرُف:55]، وجميعها تدل على اتصاف الله بالغضب على ما يليق بجلاله.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه –يشير إلى رباعيته-، اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله"[1].

وقال صلى الله عليه وسلم: "من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم، هو عليها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان"[2].

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الغضب لله على ما يليق بجلاله[3]. وأئمة المالكية يقررون هذه الصفة لله عز وجل، فيثبتون صفة الغضب لله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن دون تمثيل ولا تكييف. وقد جاء ذلك في مؤلفاتهم وأقوالهم، ومن ذلك:

1 (?) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب: ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الجراح يوم أحد؛ ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب: اشتد غضب الله على من يقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

2 (?) رواه البخاري في كتاب المساقاة، باب: الخصومة في البئر والقضاء فيها؛ ومسلم في كتاب الإيمان، باب: وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة.

3 (?) انظر المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع، (ص/443-444)

1- **تقرير الإمام مالك**.

فقد روى في الموطأ مقررًا له على قاعدته في بقية الأسماء والصفات.

وإليك بعض روايات مالك التي رواه عن شيوخه في هذا الباب:

1- عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[(1)].

2- عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن عائشة – رضي الله عنها- قالت: "كنت نائمة إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتفقدته من الليل، فلمسته بيدي، فوضعت يدي على قدميه وهو ساجد، وهو يقول: "أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناءًا عليك، أنت كما أثنيت على نفسك"[(2)].

ج- عن يحيى بن سعيد قال: بلغني أن خالد بن الوليد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أروع في منامي. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون"[(3)].

2- **الإمام أبو محمد بن أبي زيد -رحمه الله-**.

فقد ذكر في مقدمة كتابه الجامع صفة الغضب لله، وأنها مما أجمع عليه أئمة أهل السنة والجماعة، واصفًا من خالف ذلك بالبدعة والضلالة، فقال -رحمه الله-: "...فمما أجمعت الأئمة عليه من أمور الديانة ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة، أن الله تبارك وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، لم يزل بجميع صفاته. وهو سبحانه وتعالى موصوف بأن له علمًا وقدرة وإرادة ومشيئة، لم يزل بجميع صفاته وأسمائه". ثم ذكر بعضًا من صفات الله عز وجل إلى أن قال: "...وأنه يرضى عن الطائعين ويحب التوابين ويسخط على من كفر به،

---

1 (?) الموطأ، (1/223).

2 (?) الموطأ، (1/244).

3 (?) الموطأ، (2/128).

ويغضب فلا يقوم شيء لغضبه..."[1].

فقد أثبت -رحمه الله- صفة الغضب لله عز وجل؛ وأنها كغيرها من الصفات الفعلية التي يتصف الله عز وجل بها، وأنها متعلقة بمشيئته؛ وأن غضبه عز وجل شديد على من كفر به – نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه-. والإمام أبو محمد لا يخرج في ذلك عن دلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

3- **العلامة المفسر الأصولي الشيخ محمد الأمين الشنقيطي** قرر صفة الغضب لله على ما يليق بجلاله، مبينًا منهج أهل السنة والجماعة في ذلك؛ وأنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، ولا يكذبون بشيء من صفاته التي وردت في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مع تنـزيه الله جل وعلا عن صفات النقص التي هي صفة المخلوق الضعيف.

قال –رحمه الله-: "واعلم أن الغضب صفة وصف الله بها نفسه إذا انتهكت حرماته، تظهر آثارها في المغضوب عليهم. نعوذ بالله من غضبه جل وعلا. ونحن معاشر المسلمين نمرها كما جاءت، ونصدق ربنا في كل ما وصف به نفسه، ولا نكذب بشيء من ذلك مع تنـزيهنا التام له جل وعلا عن مشابهة المخلوقين سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرا"[2].

وبين –رحمه الله- أن الله تعالى قد وصف نفسه بالغضب ووصف بعض خلقه بالغضب، وأن صفاته تعالى تليق بجلاله وعظمته وعزته، وصفات المخلوق تليق بضعفه مما ينفي المشابهة بين الخالق والمخلوق. وهو يرد –رحمه الله- على أولئك الذين ينفون صفات الله عز وجل لما انقدح في أذهانهم من تشبيه الله تعالى بخلقه

---

1 (?) الجامع في السنن والآداب والحكم والمغازي والتاريخ وغير ذلك، (ص/ 139-140).

2 (?) أضواء البيان، (4/607).

فيقول:

"ووصف نفسه بأنه يغضب إن انتهكت حرماته فقال: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ) [المائدة:60]، (ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ) [النساء:93]. وقال في وصف الحادث بالغضب: (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ) [الأعراف:150]. وأمثال هذا كثير جدًّا.

والمقصود عندنا ذكر أمثلة كثيرة من ذلك مع إيضاح أن كل ما اتصف به جل وعلا من تلك الصفات بالغ غايات الكمال والعلو والشرف ما يقطع علائق جميع أوهام المشابهة بين صفاته جل وعلا، وبين صفات خلقه، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيراً"[1].

وبهذه النقول يتبين لنا أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يقررون إثبات صفة الغضب لله عز وجل على ما يليق بجلاله، وينـزهونه عن مشابهة المخلوقين. فهم يوافقون السلف الصالح في هذا الباب ويخالفون المبتدعة الذين ينفون صفات الله تعالى لما ينقدح في عقولهم من التشبيه، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

فيقول الأمام أبو حنيفة -رحمه الله-: "لا يوصف الله بصفات المخلوقين، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف[2]"[3].

---

1 (?)أضواء البيان، (2/372).

2 (?) قولـه: "بلا كيـف"، يريـد بـذلك نفي معرفـة الكيفيـة لا حقيقتها.

3 (?) الفقه الأكبر بشرح الملا علي قاري، (ص/68).

الصفة السابعة:صفة المحبة.

يثبت أهل السنة والجماعة صفة المحبة لله تعالى؛ وأنه سبحانه يحب ويحب. فهو يحب أنبياءه ورسله، ويحب عباده المؤمنين، ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب الطاعات. وهذه المحبة محبة حقيقية تليق بجلال الله تعالى وعظمته. وهي من الصفات الفعلية التي يتصف بها متى شاء وكيف شاء. فأهل السنة يثبتون هذه الصفة لله تعالى كغيرها من الصفات من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل على حد قوله عز وجل: (ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ) [الشورى:11] ، وعلى وفق قول الأمام مالك –رحمه الله- في الاستواء: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة".

ويستدل أهل السنة والجماعة على إثبات صفة المحبة لله بالكتاب والسنة. فمن الأدلة: قوله تعالى: (ھ ھ ھ ھ) [البقرة:195]، وقوله تعالى: (ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ) [البقرة: 222]، وقوله: ( ) [آل عمران:146]، وقوله تعالى: (ﭽ ﭼ ﭻ ﭺ) [آل عمران:159] ، وقوله: (ﮋ   ) [التوبة:4] ، وقوله: (ۇ ۇ ۆ ۆ) [الحُجُرات:9] ، وقوله تعالى: (   ) [المائدة:54] ، وقوله: (ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ۇ ۇ ۆ) [الصف:4].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله"[1].

وقوله صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه-: "أن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي

1 (?) رواه البخاري في كتاب استتابة المرتدين، باب: إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصرح؛ ومسلم في كتاب السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف الرد عليهم.

بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته"[1].

وأقوال أهل السنة وتقريراتهم في هذا أكثر من أن تحصر، ولم يخرج محققو المالكية عن هذه القاعدة. فقد قرروا إثبات صفة المحبة لله تعالى على ما يليق بجلاله. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

1- **تقرير الإمام مالك-رحمه الله-** لهذه الصفة حيث نقل في الموطأ الأحاديث التي تدل على إثبات هذه الصفة لله عز وجل. فمن ذلك:

أ- ما رواه الإمام مالك-رحمه الله- في الموطأ عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة-رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله تبارك وتعالى: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه"[2].

ب- ما رواه بسنده عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أيضًا: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أحب الله العبد قال لجبريل: إني قد أحببت فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء: إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض. وإذا أبغض الله العبد، قال مالك: لا أحسبه إلا أنه قال في البغض مثل ذلك"[3].

ج- ما رواه بسنده عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين في، والمتجالسين في، والمتزاورين في، والمتباذلين في"[4].

فروايته –رحمه الله- لهذه الأحاديث في موطئه الذي ألفه من أجل حفظ العقيدة كما تقدم يدل على تقريره

---

1 (?) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع.
2 (?) الموطأ، (1/392)، جامع الجنائز.
3 (?) الموطأ، (2/132)، باب: المتحابين في الله.
4 (?) المصدر السابق، (2/133).

لهذه الصفة كعادته في تقرير صفات الله عز وجل.

2- **قول ابن أبي زيد القيرواني-رحمه الله-** حيث قرر هذه الصفة كغيرها من صفات الله عز وجل ولم يتعرض لها بما يخالف ما عليه السلف؛ بل بين أن من خالف ذلك فقد خالف السلف ووقع في البدعة فقال: "...فمما أجمعت الأئمة عليه من أمور الديانة ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة، أن الله تبارك وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، لم يزل بجميع صفاته...وأنه يرضى عن الطائعين ويحب التوابين ويسخط على من كفر به، ويغضب فلا يقوم شيء لغضبه..."[1].

3- وممن قرر صفة المحبة لله عز وجل على ما يليق بجلاله **الحافظ ابن عبد البر** حيث نقل في كتابه التمهيد آثارًا تدل على إثبات هذه الصفة، فمن ذلك:

أ- ما نقله عن مجاهد في قوله عز وجل: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ) [مريم:96]، أنه قال: "يحبهم ويحببهم". وقال عز وجل فيما يعدد من نعمته على موسى نبيه وكليمه عليه السلام: (ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ) [طه:39]، قال: حببتك إلى عبادي"[2].

ب- ما نقله عن الربيع قال: "إذا أحب الله عبدًا ألقى له مودة في قلوب أهل السماء ثم ألقى له مودة في قلوب أهل الأرض"[3].

ج- ما نقله عن كعب قال: "والله ما استقر لعبد ثناء في أهل الدنيا حتى يستقر له في السماء"[4].

د- ما نقله عن كعب أيضًا قال: "قرأت في التوراة أنه لم تكن محبة لأحد من أهل الأرض إلا كان بدؤها من الله ينـزلها على أهل السماء ثم ينـزلها على أهل الأرض، ثم قرأت القرآن فوجدت فيه: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ) [مريم: 96]"[5].

فهذه الآثار تدل على إثبات صفة المحبة لله عز وجل،

---

1 (?) الجامع، (139-140).
2 (?) التمهيد، (21/239).
3 (?) المصدر السابق.
4 (?) المصدر السابق.
5 (?) المصدر نفسه.

وقد أوردها الحافظ –رحمه الله- للدلالة على تقرير هذه الصفة؛ ولم يتعرض لها بردّ أو تأويل.

4- **قول أبي عبد الله القرطبي** حيث قال عند تفسير قوله تعالى: (ڈ ڎ ژ ژ ڑ ڑ ک) [البقرة:165]، لأن الله أحبهم أولا ثم أحبوه؛ ومن شهد له محبوبه بالمحبة كانت محبته أتم. قال الله تعالى: ( ) "[1].

فقد أثبت لله تعالى المحبة؛ وأن الله تعالى متصف بالمحبة، مما يدل على أنه يقرر صفة المحبة لله عز وجل كغيرها من الصفات لله عز وجل.

5- وممن يقرر صفة المحبة لله عز وجل الشيخ محمد الأمين الشنقيطي حيث يقول –رحمه الله- "ووصف نفسه جل وعلا بالمحبة، ووصف الحادث بها، فقال: (ہ ہ ھ ھ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ) [المائدة:54]، وقال: (ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ) [آل عمران:31]". ثم قال بعد أن ذكر عددًا من الصفات: "والمقصود عندنا ذكر أمثلة كثيرة من ذلك مع إيضاح أن كل ما اتصف به جل وعلا من تلك الصفات بالغ من غايات الكمال والعلو والشرف ما يقطع علائق جميع أوهام المشابهة بين صفاته جل وعلا، وبين صفات خلقه، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً "[2].

فقد قرر-رحمه الله- هذه الصفة لله عز وجل على طريق أهل السنة والجماعة[3].

ومما تقدم يتبين لنا أن المحققين من أئمة المالكية يقررون صفة المحبة لله عز وجل على ما يليق بجلاله، وقد اتفق على ذلك سلفهم وخلفهم. وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة في إثبات هذه الصفة كغيرها من صفات الله عز وجل.

---

1 (?) الجامع لأحكام القرآن، (2/304).

2 (?) أضواء البيان، (2/28).

3 (?) اجتماع الجيوش لابن القيم، (ص/171).

وقد حكى إجماعهم إمام الشافعية في وقته أبو العباس ابن سريج-رحمه الله- بقوله: "وقد صح وتقرر واتضح عند جميع أهل الديانة والسنة والجماعة من السلف الماضين والصحابة والتابعين من الأئمة المهتدين الراشدين المشهورين إلى زماننا هذا ... ثم عد جملة من الصفات وذكر منها: الرضى والغضب، والمحبة والكراهة، والسخط والضحك والتعجب"[1].

1 (?) اجتماع الجيوش لابن القيم، (ص/171).

المسألة الثامنة:صفة الكراهة.

صفة الكراهة من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئة الله تعالى. وأهل السنة والجماعة يثبتون صفة الكراهة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته؛ فلا يعطلون ولا يمثلون ولا يكيفون ولا يحرفون. وقد دل الكتاب والسنة على إثبات هذه الصفة لله عز وجل كغيرها من الصفات.

يقول الله عز وجل: (ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ) [التوبة:46].

ويقول صلى الله عليه وسلم كما في حديث المغيرة بن شعبة –رضي الله عنه- في الصحيحين: "إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعًا وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال"[1].

وعن عائشة –رضي الله عنه- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه"[2]. الحديث.

والمحققون من أئمة المالكية يقررون صفة الكراهة لله عز وجل على وفق منهج أهل السنة والجماعة من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. ويدل على ذلك: 1. ما رواه **الإمام مالك** في الموطأ مستدلا به على إثبات هذه الصفة. ومن ذلك:

ما رواه بسنده عن أبي هريرة –رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله تبارك وتعالى: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه"[3].

وبعد البحث في مصادر عدة لم أجد للمالكية أقوالاً

---

1 (?) رواه البخاري في كتاب الاستقراض، باب:ما ينهى عن إضاعة المال؛ ومسلم في كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل.

2 (?) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه؛ ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقــاءه.

3 (?) الموطأ، (1/392)، جامع الجنائز، وقد تقدم.

خاصة في هذه الصفة، ولكن أئمة المالكية كغيرهم من أهل السنة والجماعة يذكرون قواعد عامة في باب أسماء الله وصفاته، يرجع إليها في كل ما لم يذكر من صفات الله عز وجل.

2. فمن ذلك ما قرره **الإمام أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله الأندلسي الشهير بابن أبي زمنين- رحمه الله تعالى-** حيث عقد باباً في كتابه أصول السنة، قال فيه: "باب في الإيمان بصفات الله وأسمائه. قال محمد: واعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به تبارك وتعالى عن نفسه علماً، والعجز عما لم يدع إيماناً، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه، وعلى لسان نبيه". ثم ذكر عدداً من صفات الله عز وجل، ثم قال: "قال محمد : فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير، فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. لم تره العيون فتحده كيف هو كينونيته ، لكن رأته القلوب في حقائق الإيمان به"[1].

فهذا قول أحد أئمة المالكية المتقدمين، ويؤكد ذلك عَلَم من متأخريهم وهو:

3. **العلامة محمد بن الأمين الشنقيطي** حيث يذكر في محاضرته المشهورة في تقرير توحيد الأسماء والصفات فيقول:

"ثم اعلموا أن مبحث آيات الصفات قد دل القرآن العظيم على أنه يتركز على أسس من أتى بها جميعاً فقد وافق الصواب والحق، وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، والسلف الصالح، ومن أخلّ بأحدها فقد ضلّ.

الأسس التي يتركز عليها مبحث آيات الصفات:

الأمر الأول: هو تنـزيه الله جلّ وعلا عن أن يُشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين، وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى: (ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ) [الشورى:

---

1 (?) رياض الجنة بتخريج أصول السنة، (ص/60-74).

11]، وقوله تعالى: (ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ) [الإخلاص:4]، وقوله تعالى: (ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ) [النحل:74].

الأمر الثاني: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه؛ لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله، قال تعالى: (ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ) [البقرة:140]، وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال في حقه: (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ، ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ) [النجم:3-4].

الأمر الثالث: قطع الإدراك عن حقيقة كيفية هذه الصفات؛ كما قال تعالى: (ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ) [طه:110]؛ فيلزم على كل مكلف أن يؤمن بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، ويُنـزِّه ربَّه جل وعلا عن أن تُشبه صفته صفة الخلق؛ لأن من تنطّع بين يدي رب السماوات والأرض وتجرّأ هذه الجرأة العظيمة، ونفى عن ربه وصفاً أثبته ربه لنفسه، فهذا يعتبر مجنوناً.

فالله جل وعلا يُثبت لنفسه صفات كمال وجمال، فكيف يليق بمسكين جاهل أن يتقدم بين يدي رب السماوات والأرض ويقول: هذا الذي وصفت به نفسك لا يليق بك ويلزمه من النقص كذا كذا ... فأنا أُءَوِّله وأنفيه وآتي ببدله من تلقاء نفسي من غير إسناد إلى كتاب أو سنة .. سبحانك هذا بهتان عظيم!.

ومن ظن أن صفة خالق السماوات والأرض تُشبه شيئاً من صفات المخلوق فهذا أيضاً مجنون جاهل وملحد ضال.

ومن آمن بصفات ربه جل وعلا منـزهاً ربَّه عن مشابعة صفات الخلق فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال، والتنـزيه عن مشابهة الخلق، سالمٌ من ورطة التشبيه والتعطيل.

وهذا التحقيق هو مضمون قوله تعالى: (ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ) [الشورى:11]، وهذا لم نقله لكم من تلقاء أنفسنا، وإنما هو تعليم خالق السماوات والأرض في المحكم المنـزل؛ لأن الله أوضح هذا في هذه الآية الكريمة غاية الإيضاح، وبيَّنه غاية البيان.

وهذه الآية فيها تعليم عظيم يجيب عن جميع الأسئلة

ويحل جميع الإشكالات حول الموضوع. وذلك أن الله قـال: (ﭢ ﭣ ﭤ) بعد قولـه: (ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ) .

وظاهر السر في تعبيره بقوله: (ﭢ ﭣ ﭤ) دون أن يقول مثلاً: وهو العلي العظيم، أو غير ذلك من الصفات الجامعة؛ أن السمع والبصر يتصف بهما جميع الحيوانات؛ فبيّن سبحانه أنه متصف بهما، ولكن وصفه بهما على أساس نفي المماثلة بين وصفه تعالى وبين صفات الخلق، فكأن الله سبحانه وتعالى يشير للخلق بأن يقول لهم: لا تنفوا عني صفة سمعي وبصري لأجل أن الحوادث تسمع وتبصر، وأن ذلك يُعتبر تشبيهاً، لا وكلا، بل أثبتوا لي صفة سمعي وبصري على أساس: (ﭜ ﭝ ﭞ) ؛ فيكون إثباتك للسمع والبصر إثبات تنـزيه عن مشابهة أسماع الخلائق وأبصارهم، نظراً لقولي قبلُ مقترناً به: (ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ) ؛ فأول الآية الكريمة وهو قوله: (ﭜ ﭝ ﭞ) تنـزيه تام عن مماثلة صفات المخلوقين من غير أن يفضي ذلك التنـزيه إلى التعطيل، وقوله: (ﭢ ﭣ ﭤ) إيمان بالصفات على الحقيقة إيماناً تاماً من غير أن يفضي ذلك الإيمان إلى التشبيه ولا إلى التعطيل.

فالله جل وعلا له صفات لائقة بجلاله وكماله، والخلق لهم صفات مناسبة لحالهم وعجزهم وفناهم وافتقارهم، وكل هذا حق ثابت لا شك فيه؛ إلا أن صفة رب السماوات والأرض أعلى وأكمل من أن تُشبه شيئاً من صفات المخلوقين. فمن نفى عن الله عز وجل وصفاً أثبته لنفسه في كتابه العزيز، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم زاعماً أن ذلك الوصف لا يليق بالله جل وعلا؛ فقد جعل نفسه أعلم من الله ورسوله بما يليق بالله جل وعلا... فسبحانك هذا بهتان عظيم![1].

ومما تقدم نخلص إلى أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يقررون صفة الكراهة لله عز وجل كغيرها من صفات الله عز وجل، وذلك انطلاقاً من القواعد التي ساروا عليها في إثبات جميع صفات الله عز وجل، وهم

[1] (?) صفات الله عز وجل جمع الدغيثر، (ص/24-29).

بذلك لا يخرجون عما عليه أهل السنة والجماعة في هذه الصفة وغيرها.

وقد بين اتفاق أهل السنة على إثبات هذه الصفة لله عز وجل شيخ الإسلام بن تيمية حيث قال: "والأمة متفقة على أن الله يكره المنهيات دون المأمورات، وأنه يمقت الكافرين ويغضب عليهم"[1].

[1] (?) انظر المنهاج، (3/160).

المسألة التاسعة: صفة الضحك.

صفة الضحك ثابتة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وجماله، وهي من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته. يثبتها أهل السنة والجماعة من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، (ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ) [الشورى: 11]، .

وقد تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الصفة. منها:

ما رواه أبوهريرة –رضي الله عنه- : أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر الحديث. وفيه: فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما"[1].

وما رواه أيضًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه؛ فإذا ضحك منه قال له: ادخل الجنة"[2]. الحديث.

و روى أبوهريرة –رضي الله عنه- أيضًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة"[3]. الحديث.

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على إثبات صفة الضحك لله تعالى كغيرها من الصفات. وأهل السنة والجماعة ومنهم محققو المالكية يثبتون هذه الصفة لله عز وجل على ما يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فمن ذلك:

1- ما رواه **الإمام مالك** في موطئه بسنده عن أبي

---

1 (?) رواه البخاري في كتاب فضائل الصلاة، باب: قول الله تعالى: (ﯯ ﯰ ﯱ) ؛ ومسلم في كتاب الأشربة، باب: إكرام الضيف وفضل إيثاره.

2 (?) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب:الصراط جسر جهنم؛ ومسلم في كتاب الإيمان، باب: معرفة طريقة الرؤية.

3 (?) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب: الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل؛ ومسلم في كتاب الإمارة، باب: بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر فيدخلان الجنة.

هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيقاتل فيستشهد"[1].

فرواية الإمام مالك-رحمه الله- لهذا الحديث في كتابه الذي ألفه لتقرير التوحيد والردّ على الجهمية حتى لا يضلوا الناس-كما تقدم بيانه- يدل على تقريره-رحمه الله- لهذه الصفة، وأنها ثابتة.

2- وممن يقرر هذه الصفة لله عز وجل **الإمام ابن القاسم -رحمه الله-**.

قال: "سألت مالك عن الحديث في جنازة سعد بن معاذ في العرش فقال: لا نتحدث به، وما يدعو الإنسان أن يتحدث به وهو يرى ما فيه من التغرير. وعن الحديث : إن الله خلق آدم على صورته، وعن الحديث في الساق، وذلك كله قال ابن القاسم: لا ينبغي لمن يتقي الله ويخافه أن يحدث بمثل هذا، فقلت: إن الله تبارك وتعالى يضحك فلم يره من هذا وأجازه وقال: قد جاء فيه حديثان، وحديث ينـزل مثل ذلك"[2].

وقال يحيى بن مزين [3]: "بلغني عن ابن القاسم أنه لم ير بأسًا برواية الحديث: إن الله ضحك[4] وذلك لأن الضحك من الله، والتنـزل، والملالة[5]، والتعجب[6] منه

---

1 (?) الموطأ، (2/460)

2 (?) البيـان والتحصـيل، (18/504). ومسـائل العقيـدة الـتي قررها الأئمة المالكية، تأليف: أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحمادي، (ص/161).

3 (?) يحـيى بن إبـراهيم بن مـزين رحـل إلى المشـرق ولقي مطرف بن عبد الله وروى عنـه الموطـأ، وسـمع في العـراق من القعنبي وبمصر عن أصبغ بن الفرج، كان حافظًا للموطـأ فقيهًـا فيـه، انظـر ترجمتـه في تـرتيب المـدارك (1/441)، والديباج المذهب (1/177).

4 (?) حديث أبي هريرة المتقدم.

5 (?) حديث الملالـة، رواه البخـاري، ومسـلم لفظـه: "عليكم من الأعمال ما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا".

6 (?) حديث أبي هريرة المتقـدم حيث جـاء في بعض ألفاظـه:

ليس على جهة ما يكون من عباده"[1].

فقد قرر الإمام ابن القاسم هذه الصفات لله عز وجل، وفيها صفة الضحك على ما يليق بجلاله إثباتاً بلا تمثيل على حد قوله عز وجل: (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ) [الشورى: 11] ، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة.

3- وممن يقرر صفة الضحك لله عز وجل **الحافظ أبو عمر ابن عبد البر** حيث قال- رحمه الله- في كتابه التمهيد: "قال عباس بن محمد الدوري: سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام وذكر له رجلا من أهل السنة أنه كان يقول: هذه الأحاديث التي تروى عن الرؤية والكرسي موضع القدمين، وضحك ربنا من قنوط عباده، وإن جهنم لتمتلئ، وأشباه هذه الأحاديث وقالوا: إن فلاناً يقول: يقع في قلوبنا أن هذه الأحاديث حق، فقال:ضعفتم عندي أمره حيث الأحاديث حق لا شك فيها يرويها الثقاة بعضهم عن بعض، إلا أنا إذا سئلنا عن تفسير هذه الأحاديث لم نفسرها ولم نذكر أحدًا يفسرها"[2].

وروى بسنده إلى أحمد بن نصر أنه سأل ابن عيينة قال: حديث عبد الله "إن الله عز وجل يجعل السماء على أصبع" "وإن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الأسواق" و"أنه عز وجل ينـزل إلى السماء الدنيا كل ليلة" ونحو هذه الأحاديث؟ فقال: هذه الأحاديث نرويها ونقر بها كما جاءت بلا كيف"[3].

فرواية الحافظ لهذه الآثار في كتابه التمهيد يدل على تقريره لصفة الضحك لله عز وجل على الحقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته.

4- وممن يثبت صفة الضحك لله عز وجل على ما يليق بجلاله وجماله **الشيخ عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني** حيث قال في النونية مقرراً هذه الصفة بعد أن ذكر جملة من صفات الله عز وجل:

"لقد عجب الله عز وجل أو ضحك من فلان وفلانة".

1 (?) التمهيد لابن عبد البر، (7/152).

2 (?) التمهيد، (7/149-150).

3 (?) المصدر السابق، (7/148-149).

والله يضحك لا كضحك عبيده والكيف ممتنع على الرحمن[4].

فقد صرح رحمه الله بأن الله يوصف بالضحك وأنه سبحانه يضحك، كما يثبت ذلك في أحاديث كثيرة وكما هو منهج أهل السنة، ضحكاً يليق بجلاله مع تنـزيهه عن مشابهة الخلق، كما أنه لا يمكن العلم بكيفية هذه الصفة كغيرها من الصفات.

فهذا يدل دلالة واضحة أن متقدمي المالكية يثبتون لله عز وجل صفة الضحك على ما يليق بجلاله، وأن ضحكه لا يماثل ضحك المخلوقين؛ ذلك لأنه سبحانه وتعالى(ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ) [الشورى:11].

أما متأخرو المالكية فلم أجد نصاً صريحاً لدى أحد منهم، غير أن **العلامة محمد بن الأمين الشنقيطي** قد ذكر قاعدة عامة في باب الأسماء والصفات حيث قال: وينبغي للناظر في هذه المسألة التأمل في أمور:

الأمر الأول: أن جميع الصفات من باب واحد؛ لأن الموصوف بها واحد ولا يجوز في حقه مشابهة الحوادث في شيئ من صفاتهم، فمن أثبت مثلاً أنه سميع بصير، وسمعه وبصره مخالفان لأسماع الحوادث وأبصارهم؛ لزمه مثل ذلك في جميع الصفات كالاستواء، واليد، ونحو ذلك من صفاته جل وعلا، ولا يمكن الفرق بين ذلك بحال.

الأمر الثاني: أن الذات والصفات من باب واحد أيضاً، فكما أنه جل وعلا له ذات مخالفة لجميع ذوات الخلق، فله تعالى صفات مخالفة لجميع صفات الخلق.

الأمر الثالث: في تحقيق المقام في الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من آيات الصفات كالاستواء واليد مثلاً.

اعلم أولاً: أنه غلط في هذا خلق لا يحصى كثرة من المتأخرين، فزعموا أن الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من معنى الاستواء واليد مثلاً في الآيات القرآنية: هو مشابهة صفات الحوادث، وقالوا: يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره إجماعاً؛ لأن اعتقاد ظاهره كفر، لأن من شبه الخالق بالمخلوق فهو كافر؛ ولا يخفى على أدنى عاقل أن حقيقة معنى هذا القول أن الله وصف نفسه

---

4 (?) النونية، (ص/57)، البيت رقم (58).

في كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلى الفهم الكفر بالله والقول فيه بما لا يليق به جل وعلا.

والنبي صلى الله عليه وسلم الذي قيل له: (ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ) [النحل:44] لم يبين حرفاً واحداً من ذلك مع إجماع من يعتد به من العلماء على أنه صلى الله عليه وسلم: لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، وأحرى في العقائد ولا سيما ما ظاهره المتبادر منه الكفر والضلال المبين. حتى جاء هؤلاء الجهلة من المتأخرين، فزعموا أن الله أطلق على نفسه الوصف بما ظاهره المتبادر منه لا يليق، والنبي صلى الله عليه وسلم كتم أن ذلك الظاهر المتبادر كفر وضلال يجب صرف اللفظ عنه، وكل هذا من تلقاء أنفسهم من غير اعتماد على كتاب أو سنة، (ﯴ ﯵ ﯷ) [النور:16].

ولا يخفى أن هذا القول من أكبر الضلال، ومن أعظم الافتراء على الله جل وعلا، ورسوله صلى الله عليه وسلم، والحق الذي لا يشك فيه أدنى عاقل أن كل وصف وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، فظاهره المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان: هو التنـزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث.

فبمجرد إضافة الصفة إليه-جل وعلا- يتبادر إلى الفهم أنه لا مناسبة بين تلك الصفة الموصوف بها الخالق، وبين شيء من صفات المخلوقين؛ وهل ينكر عاقل أن السابق على الفهم المتبادر لكل عاقل: هو منافاة الخالق للمخلوق في ذاته وجميع صفاته؟ لا والله، لا ينكر ذلك إلا مكابر.

والجاهل المفتري الذي يزعم أن ظاهر آيات الصفات لا يليق بالله لأنه كفر وتشبيه، إنما جر إليه ذلك تنجيس قلبه بقذر التشبيه بين الخالق والمخلوق؛ فأدّاه شؤم التشبيه إلى نفي صفات الله جل وعلا، وعدم الإيمان بها، مع أنه جل وعلا هو الذي وصف بها نفسه؛ فكان هذا الجاهل مشبِّهاً أولاً، ومعطلاً ثانياً، فارتكب ما لا يليق بالله ابتداء وانتهاء؛ ولو كان قلبه عارفاً بالله كما ينبغي، معظماً لله كما ينبغي، طاهراً من أقذار التشبيه، لكان المتبادر عنده السابق إلى فهمه: أن وصف الله جل وعلا بالغ من الكمال والجلال ما يقطع أوهام علائق المشابهة

بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون قلبه مستعداً للإيمان بصفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن والسنة الصحيحة، مع التنـزيه التام عن مشابهة صفات الخلق على نحو قوله: (ٺ ٿ ٹ ٹ ٺ ٿ ٿ) [الشورى:11] [1].

وبهذه النقول يتضح لنا أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يقررون هذه الصفة لله عز وجل من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل كغيرها من صفات المولى جل وعلا، وهذه هو منهج السلف الصالح ومن تبعهم واقتدى بهم. وقد نقل إجماعهم أبو عثمان الصابوني –رحمه الله- حيث قال بعد أن ذكر عددًا من الصفات كالرضا والسخط، والحب والبغض، والفرح والضحك: "وهذه الجمل التي أثبتها في هذا الجزء كانت معتقد جميعهم، لم يخالف فيها بعضهم بعضا، بل أجمعوا عليها كلها"[2].

---

1 (?) انظـر: أضـواء البيـان، (2/272-288)، ومنهج ودرسـات لآيات الأسماء والصفات.

2 (?) عقيدة السلف أصحاب الحديث، (ص/165-315).

المسألة العاشرة**:** صفة العجب.

من الصفات التي يثبتها أهل السنة والجماعة صفة التعجب؛ فيصفون الله بالتعجب. والعجب من الصفات الفعلية الثابتة لله عز وجل على ما يليق بجلاله. وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل بأنه يعجب في أحاديث كثيرة منها:

قوله صلى الله عليه وسلم: "عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل"[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "يعجب ربك عز وجل من راعي غنم في رأس شظية للجبل يؤذن بالصلاة ويصلي"[2].

والمحققون من أئمة المالكية يقررون صفة العجب لله عز وجل ويستدلون لذلك بالنصوص الواردة في صفة الضحك حيث أنه جاء في بعضها "يعجب ربك" بدل "يضحك"، وفي حديث صاحب الضيف المتقدم: "عجب الله من صنيعكما الليلة". ومن ذلك:

1. ما رواه **الحافظ ابن عبد البر** في التمهيد مقررًا له عن أبي عبيد القاسم بن سلام وقد ذكر له رجلا من أهل السنة أنه كان يقول: هذه الأحاديث التي تروى عن الرؤية والكرسي موضع القدمين، وضحك ربنا من قنوط عباده، وإن جهنم لتمتلئ، وأشباه هذه الأحاديث وقالوا: إن فلانًا يقول: يقع في قلوبنا أن هذه الأحاديث حق، فقال:ضعفتم عندي أمره حيث الأحاديث حق لا شك فيها يرويها الثقاة بعضهم عن بعض، إلا أنا إذا سئلنا عن تفسير هذه الأحاديث لم نفسرها ولم نذكر أحدًا يفسرها"[3].

وساق بسنده إلى أحمد بن نصر أنه سأل ابن عيينة قال: حديث عبد الله "إن الله عز وجل يجعل السماء على أصبع"، "وإن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في

---

1 (?) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، بـاب: الأسـارى في السلاسل.

2 (?) أخرجه الإمام أحمد في المسند (7/61)، وابن حبـان في صحيحه (6/397) وقال عنه شعيب الأرنؤوط: اسناده حسن، وأبو داوود في كتاب صـلاة السـفر، بـاب: الأذان في السـفر، والنسائي في كتاب الصـلاة، بـاب: الأذان لمن يصـلي وحـده، وقال عنه الألباني: صحيح.

3 (?) التمهيد، (7/149-150).

الأسواق" و"أنه عز وجل ينـزل إلى السماء الدنيا كل ليلة" ونحو هذه الأحاديث؟ فقال: هذه الأحاديث نرويها ونقر بها كما جاءت بلا كيف"[1].

2. وممن قرر صفة العجب لله عز وجل **العلامة محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-** عند تفسير قوله تعالى: (ﮕ ﮖ ﮗ) [الصافات:12] : قرأ هذا الحرف عامة القراء السبعة غير حمزة والكسائي: عجبت بالتاء المفتوحة، وهي تاء الخطاب، المخاطب بها النبي صلى الله عليه وسلم. وقرأ حمزة والكسائي:

بل عجبت بضم التاء، وهي تاء المتكلم ، وهو الله جل وعلا.

وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك -يريد التفسير المسمى أضواء البيان- أن القراءتين المختلفتين يحكم لها بحكم الآيتين[2].

وبذلك تعلم أن هذه الآية الكريمة على قراءة حمزة والكسائي[3] فيه إثبات العجب لله تعالى؛ فهي إذًا من

---

[1] (?) التمهيد، (7/148-149).

[2] (?) أضواء البيان، (6/742-743).

[3] (?) قال ابن جرير –رحمه الله- في التفسير: "قوله: (ﮕ ﮖ ﮗ) . اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة:(بل عجبت ويسخرون) بضم التاء من عجبت، بمعنى: بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكا، وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة(بل عجبت) بفتح التاء بمعنى: بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

فإن قال قائل: وكيف يكون مصيبا القارئ بهما مع اختلاف معنييهما؟ قيل: إنهما وإن اختلف معنياهما فكل واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسخر المشركون بما قالوه". انتهى.

وقد روى الحاكم في المستدرك (2/420) ومن طريقه البيهقي في "الأسماء والصفات" (2/225) بسند صحيح عن الأعمش ، عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال : "قرأها عبد الله بن مسعود : (بل عجبتُ ويسخرون) . قال شريح : إن الله لا يعجب من شيء ، إنما يعجب من لا يعلم . قال الأعمش : فذكرته لإبراهيم ، فقال : إن شريحا كان يعجبه رأيه ، إن عبد الله كان أعلم من شريح ، وكان عبد الله يقرؤها (بل عجبت)".

آيات الصفات على هذه القراءة.

فهذا الإمام الجليل يثبت صفة العجب لله تعالى على ما يليق بجلاله، وفق قاعدة أهل السنة والجماعة. ومن المعلوم أن الاستدلال بالقرآن من أقوى أنواع الاستدلال.

وهذا الذي يقرره أئمة المالكية من إثبات صفة العجب لله عز وجل على ما يليق بجلاله وكغيرها من الصفات هو منهج أهل السنة والجماعة المنتسبين إلى ائمة المذاهب الفقهية الأخرى.

فقد قال أبو يعلى الفراء في كتابه: **"إبطال التأويلات"** بعد أن ذكر ثلاثة أحاديث في إثبات صفة العجب لله عز وجل: "اعلم أن الكلام في هذا الحديث يعني -الحديث الثالث- كالكلام في الذي قبله؛ وأنه لا يمتنع إطلاق ذلك عليه وحمله على ظاهره؛ إذ ليس في ذلك ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه؛ لأنا لا نثبت عجبًا هو تعظيم لأمر همه استعظمه،لم يكن عالمًا به؛ لأنه مما لايليق بصفاته، بل نثبت ذلك صفة كما أثبتنا غيرها من صفاته"[1].

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخـاري ومسـلم ولم يخرجـاه، ووافقه الـذهبي. انتهى. قلت: هـذا وما قبله يـدل على صحة هذه القراءة، وهو دليل على اتصـاف الله بـالعجب على ما يليق بجلاله.

[1] (?) إبطال التأويلات، (ص/245).

المسألة الحادية عشرة: صفة الغيرة.

يثبت أهل السنة والجماعة صفة الغيرة لله عز وجل؛ وأنه يوصف بالغيرة. وهي صفة فعلية تليق بجلاله وعظمته عز وجل كغيرها من الصفات**.**

وقد دلت السنة على وصف الله عز وجل بالغيرة كما في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله"[1].

وحديث المغيرة بن شعبة –رضي الله عنه- قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أتعجبون من غيرة سعد؟ والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن..."[2]. الحديث.

وعلماء المالكية كغيرهم من أهل السنة والجماعة يثبتون ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الصفات على الحقيقة ومنها صفة الغيرة، فلا يعطلون ولا يمثلون صفاته بصفات المخلوقين، ولا يكيفون ولا يحرفون المعنى عن ظاهره؛ وإنما يثبتون ذلك على حد قوله عز وجل: (ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ) [الشورى:11].

ومما يدل على تقرير أئمة المالكية لصفة الغيرة لله عز وجل على ما يليق بجلاله ما يأتي:

1- ما رواه **الإمام مالك** في الموطأ بسنده عن عائشة –رضي الله عنها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم كسفت الشمس: "يا أمة محمد! ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته"[3].

---

[1] (?) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب: الغيرة؛ ومسلم في كتاب التوبة: غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش.

[2] (?) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب:قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا شخص أغير من الله؛ ومسلم في كتاب اللعان، برقم (1499).

[3] (?) الموطأ، (1/180)، كتاب صلاة الكسوف، باب: العمل

2- ومن علماء المالكية الذين أثبتوا صفة الغيرة لله تعـالى، **الإمام عبد الجليل بن موسى ابن عبد الجليل الأندلسي المعروف بالقصري** حيث قال –رحمه الله- في كتابه "شعب الإيمان" بعد أن ذكر حديث سعد بن عبادة في الغيرة وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنه لغيور وأنا أغير منه، والله أغير مني"...فجعل –يعني النبي صلى الله عليه وسلم - الغيرة من صفات الله وصفات رسوله وصفات المؤمنين. والأخبار في ذلك كثيرة"[1]. فقد أثبت صفة الغيرة لله، ولم يتعرض لها بتأويل، ولا تحريف مما يدل على تقريره لهذه الصفة، والله الموفق.

ومن القاعدة المعروفة عن الإمام مالك –رحمه الله- في صفة الاستواء: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة".

3- ومما يدل على ذلك ما قالـه **العلامة محمد الأمين الشنقـيطي-رحمه الله-**:

"...فيلزم على كل مكلف أن يؤمن بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم وينـزه الله جل وعلا عن أن تشبه صفته صفة الخلق. وحيث أخل بأحد هذين الأصلين وقع في هوة ضلال، لأن من تنطع بين يدى رب السموات والأرض وتجرأ على الله بهذه الجرأة العظيمة ونفى عن ربه وصفًا أثبته لنفسه فهذا مجنون. فالله جل وعلا يثبت لنفسه صفات كمال وجلال فكيف يليق لمسكين جاهل أن يتقدم بين يدي رب السموات والأرض ويقول هذا الذي وصفت به نفسك لا يليق بك ويلزمه من النقص كذا وكذا، فأنا أؤوله وألغيه وآتى ببدله من تلقاء نفسي من غير استناد إلى كتاب أو سنة. سبحانك هذا بهتان عظيم!

ومن ظن أن صفة خالق السموات والأرض تشبه شيئا من صفات الخلق فهذا مجنون جاهل، ملحد ضال، ومن آمن بصفات ربه جل وعلا منـزها ربه عن تشبيه صفاته بصفات الخلق فهو مؤمن منـزه سالم من ورطة التشبيه والتعطيل. وهذا التحقيق هو مضمون: (ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ) [الشورى:11] .

في صلاة الكسوف.

[1] (?) شعب الإيمان، (ص/237).

فهذه الآية فيها تعليم عظيم يحل جميع الإشكالات ويجيب عن جميع الأسئلة حول الموضوع. ذلك لأن الله قال: (ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ) بعد قوله (ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ) . ومعلوم أن السمع والبصر من حيث هما سمع وبصر يتصف بهما جميع الحيوانات؛ فكأن الله يشير للخلق ألا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره بادعاء أن الحوادث تسمع وتبصر وأن ذلك تشبيه بل عليهم أن يثبتوا له صفة سمعه وبصره على أساس (ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ) [الشورى:11] . .. فالله جل وعلا له صفات لائقة بكماله وجلاله، والمخلوقات لهم صفات مناسبة لحالهم، وكل هذا حق ثابت لا شك فيه. إلا أن صفة رب السموات والأرض أعلى وأكمل من أن تشبه صفات المخلوقين، فمن نفى عن الله وصفًا أثبته لنفسه فقد جعل نفسه أعلم بالله من الله، سبحانك هذا بهتان عظيم. ومن ظن أن صفة ربه تشبه شيئًا من صفة الخلق فهذا مجنون ضال ملحد لا عقل له يدخل في قوله: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ) (ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ) [الشعراء:97-98]"[1].

وقال: "وعلى كل حال فلا يجوز للإنسان أن يتنطع إلى وصف أثبته الله جل وعلا لنفسه فينفي هذا الوصف عن الله متهجمًا على رب السموات والأرض مدعيًا عليه أن هذا الوصف الذي تمدح به أنه لا يليق به وأنه هو ينفيه عنه ويأتيه بالكمال من كيسه الخاص، فهذا جنون وهوس ولا يذهب إليه إلا من طمس الله بصائرهم"[2].

وقال: "فالحاصل أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد هذا الاعتقاد الذي يحل جميع الشبه ويجيب عن جميع الأسئلة وهو: أن الإنسان إذا سمع وصفًا وصف به خالق السموات والأرض نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم امتلأ صدره من التعظيم، فيجزم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والشرف والعلو ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون القلب منـزهاً معظمًا له جل وعلا غير متنجس

---

1 (?) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ضمن المحاضرات، إشراف: بكر أبو زيد، (ص/88-89).

2 (?) المصدر السابق، (ص/102).

بأقذار التشبيه، فتكون أرض قلبه قابلة للإيمان والتصديق بصفات الله التي تمدح بها أو أثنى عليه بها نبيه صلى الله عليه وسلم على غرار (ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ) [الشورى:11] . والشر كل الشر في عدم تعظيم الله وأن يسبق في ذهن الإنسان أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق؛ فيضطر المسكين أن ينفي صفة الخالق بهذه الدعوى الكاذبة الفاجرة الخائنة"[1].

وبين –رحمه الله- أن القول في صفة من صفات الله عز وجل هو القول في كل الصفات؛ لأن الباب واحد. وهذه قاعدة مهمة تبين منهج الشيخ-رحمه الله- في الصفات التي لم يرد لها ذكر، وهو منهج جميع الأمة من المالكية وغيرهم. يقول-رحمه الله-: " ولا بد في هذا المقام من نقط يتنبه إليها طالب العلم:

أولا: أن يعلم طالب العلم أن جميع الصفات من باب واحد إذ لا فرق بينها البتة لأن الموصوف بها واحد، وهو جل وعلا لا يشبه الخلق في شيء من صفاتهم البتة. فكما أنكم أثبتتم له سمعًا وبصرًا لائقين بجلاله لا يشبهان شيئًا من أسماع الحوادث وأبصارهم، فكذلك يلزم أن تجروا هذا بعينه في صفة الاستواء والنـزول والمجيء إلى غير ذلك من صفات الجلال والكمال التي أثنى الله بها على نفسه"[2].

والمتتبع لأقوال المحققين من أئمة المالكية في جميع الصفات يرى أن أقوالهم لا تخالف ما عليه أهل السنة والجماعة، وأنهم يعتقدون أن باب الصفات واحد، وأن القول في صفة من الصفات الثابتة لله في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم يقال في غيرها من الصفات، وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة.

يقــول شــيخ الإســلام ابن تيميــة: " فقد ثبت في الأحــاديث الصــحيحة أن الله يوصف " بــالغيرة " وهي مشــتقة من: التغــير فقــال صــلى الله عليه وســلم في الحديث الصحيح: "لا أحد أغير من الله أن يـزني عبـده أو

---

1 (?) المصدر السابق، (ص/110).

2 (?) المصدر السابق، (ص/111).

تزني أمته" وقـال أيضا " لا أحد أحب إليه المـدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه ولا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث الرسل، وأنــزل الكتب، ولا أحد أغـــير من الله من أجل ذلك حــرم الفــواحش ما ظهر منها وما بطن". وقـال:" أتعجبـون من غـيرة سـعد لأنا أغـير منه، والله أغير مني "[1]

[1] (?) مجموع الفتاوى (6/253)

المسألة الثانية عشرة: صفة الحياء.

الحياء صفة فعلية لله تعالى، يثبتها أهل السنة والجماعة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وكماله وعظمته وكبريائه كغيرها من الصفات من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل (ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ) [الشورى:11] .

وقد دل على هذه الصفة الكتاب والسنة.

قال الله تعالى: (ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ) [البقرة:26]

وقال سبحانه: (ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ) [الأحزاب:53].

وعن أبي واقد الليثي –رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا. فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه"[1].

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم، يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردها صفرا"[2].

فهذه النصوص تدل على اتصاف الله عز وجل بالحياء

---

1 (?) رواه البخاري في كتاب العلم، باب: من قعـد حيث ينتهي بـه المجلس، ومن رأى فرجـة في الحلقـة فجلس فيهـا؛ ومسلم في كتاب السلام، باب: من أتى مجلسًا فـرأى فرجـة فجلس فيها وإلا وراءهم.

2 (?) رواه أبو داوود في كتاب الصلاة، باب الدعاء؛ والترمـذي في كتـاب الـدعوات، بـاب: إن اللـه حـيي كـريم. وقـال هـذا حديث حسن غريب. ورواه بعضهم ولم يرفعه. والترمذي في كتاب الدعاء، باب: رفع اليـدين. والإمـام أحمـد في مسـنده (5/438)، والحـاكم في المسـتدرك في الـدعاء والتكبـير (1/718)، وقال: صـحيح على شـرط الشـيخين ولم يخرجـاه. ووافقه الذهبي،. والبيهقي في الأسـماء والصـفات (2/241). وصححه الألباني.

على ما يليق بجلاله وكماله. والله عز وجل أعلم بنفسه، ثم رسوله أعلم بربه.

ولذا، فإن أهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفة لله عز وجل. والمحققون من أئمة المالكية لا يخرجون عن ذلك، فقد قرروا هذه الصفة لله عز وجل على وفق معتقد أهل الحق. فممن قرر هذه الصفة:

1- **الإمام مالك-رحمه الله-**.

فقد أخرج في الموطأ حديث أبي واقد الليثي المتقدم وفيه: "وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه"[1] مقررًا لهذه الصفة كما هو منهجه في بقية الصفات.

2- وممن قرر هذه الصفة لله عز وجل **ابن جزي-رحمه الله تعالى-** حيث قال

عند تفسير قوله تعالى: (ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ) [البقرة:26]: (ﭸ ﭹ) تأول قوم : أن معناه لا يترك، لأنهم زعموا أن الحياء مستحيل على الله؛ لأنه عندهم انكسار يمنع من الوقوع في أمر، وليس كذلك؛ وإنما هو كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يعاب، ويرد عليهم قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله حيي كريم يستحي من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا"[2].

فقد قرر-رحمه الله- صفة الحياء لله عز وجل وأنها ثابتة لله على ما يليق بجلاله، وردّ على الذي تأولها خوفاً من التشبيه، واستدل على ذلك بصريح السنة.

3- **ابن باديس-رحمه الله-** حيث قال عند تقريره للقاعدة العــامة في إثبات

صفات الله عز وجل مع تنـزيهها عن مشابهة صفات المخلوقين: "نثبت له ما أثبته لنفسه على لسان رسله من ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، وننتهي عند ذلك ولا نزيد عليه، وننـزهه في ذلك عن مماثلة أو مشابهة شيء من مخلوقاته، لقوله تعالى: ( ) [آل عمران:28]، (ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ) [المائدة:116][3].

4- وممن قرر ذلك **العلامة محمد الأمين**

---

1 (?) الموطأ، (2/444)، كتاب الجامع، باب جامع السلام.

2 (?) التسهيل لعلوم التنزيل، (1/81).

3 (?) فتح رب البرية بشرح العقائد الإسلامية، (ص/167).

الشنقيطي حيث قال في خاتمة محاضرته العظيمة في صفات الله عز وجل في ضوء القرآن الكريم والردّ على المخالفين، بعد أن قرر صفات الله عز وجل وأنها مبنية على ثلاثة أسس:

الأول: هو تنـزيه الله جلّ وعلا عن أن يُشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين، واستدل على ذلك بقوله عز وجل: (ٺ ٿ ٹ ٿ ٹ ٹ ٹ) [الشورى:11].

الثاني: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه؛ لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله، لقوله تعالى: (ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ) [البقرة:140]، وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال في حقه: (ٻ ٻ ٻ پ ، ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ) [النجم:3-4].

الأمر الثالث: قطع الإدراك عن حقيقة كيفية هذه الصفات؛ واستدل على ذلك بقوله تعالى: (ۆ ۆ ۈ ۈ) [طه: 110].

ثم قال مؤكداً على لزوم هذه العقيدة في أسماء الله وصفاته المتضمنة لجميع صفات الله عز وجل: "وأنا أؤكد لكم بمعرفة القرآن ونحن في دار الدنيا أن من مات منكم وحشر ونشر ولقي الله جل وعلا على هذه العقيدة السلفية التي نلقنكم إياها في دار الدنيا، أنه يأتي آمناً من كل توبيخ وتقريع يأتيه من قبل هذه الأسس الثلاثة"، ثم أعاد ذكر الأسس الثلاثة المتقدمة، ثم قال: "فهذه عقيدة السلف الصحيحة الصافية من كل شائبة تشبيه، ومن كل شائبة تعطيل، فهي طريقة سلامة محققة، كلها عمل بنور القرآن العظيم، لا يختلجها شكوك ولا تتطرق إليها أوهام؛ لأن أساسها تنـزيه خالق السماوات والأرض عن مشابهة الخلق، فهي مبنية على ثلاثة أسس كلها واضحة من نور القرآن العظيم. فالذي نوصي به أنفسنا وإخواننا المسلمين تقوى الله، وأن لا يتهجموا على صفات الله بأن ظاهرها غير لائق، وأنه ظاهر خبيث، وأن لا يتهجموا بنفيها؛ بل ينـزهون خالقهم أولاً ثم يصدقونه فيما مدح به نفسه، فيؤمنون بما أثبت لنفسه إيماناً مبنياً على أساس

ذلك التنـزيه على نحو: (ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ)، ويعلمون أن عقولهم المسكينة لها حد تقف عنده، فهي عاجزة عن إدراك الإحاطة وكيفية الكنه. وإنما أكثرنا من تكرار هذه المسألة لشدة الحاجة إليها، ولأن كثيراً من الناس يدعي على صفات الله أن ظاهرها غير لائق به، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً[1].

فقد قرر هؤلاء الأئمة أن صفات الله عز وجل بابها واحد، فكل ما ثبت في الكتاب والسنة فيجب إثباته لله عز وجل، ومن ذلك صفة الحياء فهي كغيرها من صفات الله عز وجل، جاء النص بإثباتها، فوجب إثبات ذلك.

ومن خلال هذه النقول نجد أن المحققين من أئمة المالكية سلفاً وخلفاً يقررون صفة الحياء لله عز وجل على ما يليق بجلاله كما هو معتقد أهل السنة.

وهذه العقيدة في أسماء الله وصفاته هي التي يجب على كل مسلم أن يعتقدها، فهي عقيدة أهل السنة والجماعة والتي يدل عليها الكتاب والسنة وإجماع الأئمة من أتباع المذاهب الفقهية وغيرهم. وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- في **"الفتاوى"** طرقًا من تقرير أولئك الأعلام. فمن ذلك ما نقله عن محمد بن عبد الملك الكرجي-الشافعي- حيث قال-رحمه الله-:

"ومن ذلك : ما ذكره شيخ الحرمين: أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي في كتابه الذي سماه "الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزامًا لذوي البدع والفضول" -وكان من أئمة الشافعية -، ذكر فيه من كلام الشافعي ومالك والثوري وأحمد بن حنبل والبخاري- صاحب الصحيح- وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك والأوزاعي والليث بن سعد وإسحاق بن راهويه في أصول السنة ما يعرف به اعتقادهم .

وذكر في تراجمهم ما فيه تنبيه على مراتبهم ومكانتهم في الإسلام وذكر أنه اقتصر في النقل عنهم - دون غيرهم - لأنهم هم المقتدى بهم والمرجوع شرقًا

---

[1] (?) صفات الله عز وجل في ضوء القرآن الكريم والـردّ على المخالفين، جمع: عبد الله الدغيثر (ص/133- 134).

وغربًا إلى مذاهبهم؛ ولأنهم أجمع لشرائط القدوة والإمامة من غيرهم وأكثر لتحصيل أسبابها وأدواتها: من جودة الحفظ والبصيرة والسند ولغات العرب ومواضعها والتاريخ والناسخ والمنسوخ والمنقول والمعقول والصحيح والدخول في الصدق والصلابة وظهور الأمانة والديانة ممن سواهم".

قال: " وإن قصر واحد منهم في سبب منها جبر تقصيره قرب عصره من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، باينوا[1] هؤلاء بهذا المعنى من سواهم، فإن غيرهم من الأئمة - وإن كانوا في منصب الإمامة - لكن أخلوا ببعض ما أشرت إليه مجملا من شرائطها إذ ليس هذا موضعا لبيانها". قال: " ووجه ثالث لا بد من أن نبين فيه فنقول : إن في النقل عن هؤلاء إلزامًا للحجة على كل من ينتحل مذهب إمام يخالفه في العقيدة، فإن أحدهما لا محالة يضلل صاحبه أو يبدعه أو يكفره؛ فانتحال مذهبه - مع مخالفته له في العقيدة - مستنكر والله شرعًا وطبعًا. فمن قال : أنا شافعي الشرع أشعري الاعتقاد قلنا له: هذا من الأضداد، لا بل من الارتداد، إذ لم يكن الشافعي أشعري الاعتقاد.

ومن قال: أنا حنبلي في الفروع معتزلي في الأصول قلنا: قد ضللت إذًا عن سواء السبيل فيما تزعمه، إذ لم يكن أحمد معتزلي الدين والاجتهاد". قال : " وقد افتتن أيضا خلق من المالكية بمذاهب الأشعرية، وهذه والله سبة وعار وفلتة تعود بالوبال والنكال وسوء الدار على منتحل مذاهب هؤلاء الأئمة الكبار. فإن مذهبهم ما رويناه من تكفيرهم: الجهمية والمعتزلة والقدرية والواقفية وتكفيرهم اللفظية".

ثم قال: "لما تتبعت أصول ما صح لي روايته فعثرت فيها بما قد ذكرت من عقائد الأئمة، فرتبتها عند ذلك على ترتيب الفصول التي أثبتها، وافتتحت كل "فصل" بنيف من المحامد، يكون لإمامتهم إحدى الشواهد داعية إلى اتباعهم ووجوب وفاقهم وتحريم خلافهم وشقاقهم. فإن اتباع من ذكرناه من الأئمة في الأصول في زماننا بمنـزلة اتباع الإجماع الذي يبلغنا عن الصحابة والتابعين؛

---

[1] (?) هذه لغة قليلة.

إذ لا يسع مسلما خلافه، ولا يعذر فيه، فإن الحق لا يخرج عنهم لأنهم الأدلاء وأرباب مذاهب هذه الأمة والصدور والسادة والعلماء القادة، أولوا الدين والديانة والصدق والأمانة والعلم الوافر والاجتهاد الظاهر. ولهذا المعنى اقتدوا بهم في الفروع، فجعلوهم فيها وسائل بينهم وبين الله حتى صاروا أرباب المذاهب في المشارق والمغارب. فليرضوا كذلك بهم في الأصول فيما بينهم وبين ربهم وبما نصوا عليه ودعوا إليه"[1].

ثم قال: "ليعلم المستن أن سنة العقائد على " ثلاثة أضرب ": ضرب يتعلق بأسماء الله وذاته وصفاته. وضرب يتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه ومعجزاته وضرب يتعلق بأهل الإسلام في أولاهم وأخراهم. أما الضرب الأول: فلنعتقد أن لله أسماء وصفات قديمة غير مخلوقة جاء بها كتابه وأخبر بها الرسول أصحابه فيما رواه الثقات وصححه النقاد الأثبات ودل القرآن المبين والحديث الصحيح المتين على ثبوتها ... وهي أن الله تعالى أول لم يزل وآخر لا يزال، أحد قديم وصمد كريم عليم حليم علي عظيم رفيع مجيد، وله بطش شديد، وهو يبدئ ويعيد، فعال لما يريد، قوي قدير منيع نصير، (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ) [الشورى:11]. ، إلى سائر أسمائه وصفاته من النفس والوجه والعين والقدم واليدين والعلم والنظر والسمع والبصر والإرادة والمشيئة والرضى والغضب والمحبة والضحك والعجب والاستحياء والغيرة والكراهة والسخط والقبض والبسط والقرب والدنو والفوقية والعلو والكلام والسلام والقول والنداء والتجلي واللقاء والنـزول والصعود والاستواء، وأنه تعالى في السماء، وأنه على عرشه بائن من خلقه. قال مالك: "إن الله في السماء وعلمه في كل مكان".

وقال عبد الله بن المبارك: "نعرف ربنا فوق سبع سمواته على العرش بائنا من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية: إنه ههنا - وأشار إلى الأرض". وقال سفيان الثوري: (ڤ ڤ ڤ ڦ) [الحديد:4]، قال: "علمه".

قال الشافعي: "إنه على عرشه في سمائه يقرب

---

[1] (?) يريد –رحمه الله- تحريم خلافهم في العقيدة لا في الفروع والأحكام كما بينه لاحقًا.

من خلقه كيف شاء" .قال أحمد: "إنه مستو على العرش عالم بكل مكان". وإنه ينـزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء، وإنه يأتي يوم القيامة كيف شاء، وإنه يعلو على كرسيه، والإيمان بالعرش والكرسي وما ورد فيهما من الآيات والأخبار. وأن الكلم الطيب يصعد إليه وتعرج الملائكة والروح إليه. وأنه خلق آدم بيديه، وخلق القلم وجنة عدن وشجرة طوبى بيديه، وكتب التوراة بيديه، وأن كلتا يديه يمين.

وقال ابن عمر: "خلق الله بيديه أربعة أشياء : آدم والعرش والقلم وجنة عدن وقال لسائر الخلق: كن فكان". وأنه يتكلم بالوحي كيف يشاء. قالت عائشة –رضي الله عنها-:"لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بوحي يتلى". وأن القرآن كلام الله بجميع جهاته، منـزل غير مخلوق، ولا حرف منه مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. قال عبد الله بن المبارك: "من كفر بحرف من القرآن فقد كفر. ومن قال: لا أؤمن بهذه اللام فقد كفر". وأن الكتب المنـزلة على الرسل -مائة وأربعة كتب- كلام الله غير مخلوق. قال أحمد: "وما في اللوح المحفوظ وما في المصاحف وتلاوة الناس وكيفما يقرأ وكيفما يوصف فهو كلام الله غير مخلوق".

قال البخاري: "وأقول: في المصحف قرآن، وفي صدور الرجال قرآن؛ فمن قال غير هذا يستتاب؛ فإن تاب وإلا فسبيله سبيل الكفر".

قال وذكر الشافعي المعتقد بالدلائل فقال: " لله أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه أمته؛ لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها - إلى أن قال - نحو إخبار الله سبحانه إيانا أنه سميع بصير، وأن له يدين لقوله: ( ) [المائدة:64]، وأن له يمينا بقوله: ( ) [الزُّمَر:67]، وأن له وجها لقوله: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ) [القصص:88]، وقوله: (ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ) [الرحمن:27]. وأن له قدما لقوله: "حتى يضع الرب فيها قدمه" يعني: جهنم. وأنه يضحك من عبده المؤمن لقوله صلى الله عليه وسلم للذي قتل في سبيل الله: "إنه لقي الله وهو يضحك إليه". وأنه يهبط كل ليلة إلى سماء الدنيا لخبر

رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك. وأنه ليس بأعور لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ذكر الدجال فقال: "إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور". وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر. وأن له إصبعا لقوله صلى الله عليه وسلم: "ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن".

إلى غيرها من الأحاديث هالتنا أولم تهلنا، بلغتنا أولم تبلغنا، اعتقادنا فيها وفي الآي الواردة في الصفات أنا نقبلها ولا نحرفها ولا نكيفها ولا نعطلها ولا نتأولها، وعلى العقول لا نحملها، وبصفات الخلق لا نشبهها، ولا نعمل رأينا وفكرنا فيها، ولا نزيد عليها، ولا ننقص منها؛ بل نؤمن بها ونكل علمها إلى عالمها، كما فعل ذلك السلف الصالح وهم القدوة لنا في كل علم"[1]. انتهى.

وهذا هو الاعتقاد الذي يجب على كل مسلم أن يعتقده فيما يتعلق بالله عز وجل وصفاته. وهو ما يقرره المحققون من أئمة المالكية الذين ذكرنا أقوال بعض منهم، رحم الله المتقدم والمتأخر، ووفق من جاء بعدهم للزوم طريقتهم والتمسك بما كانوا عليه من الهدى المستقيم؛ إنه خير مسؤول، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

1 (?) الفتاوى، (1/175-185).